القضية الفلسطينية
الواقع والآفاق

حقوق الطبع والنشر محفوظة
1426هـ - 2005م

القضية الفلسطينية
الواقع والآفاق

غازي التوبة

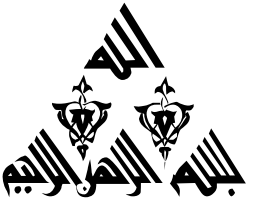
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلّ له، ومن يُضْلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، ﴿**يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلا وأنتم مُسْلِمونَ**﴾ (آل عمران،102)، ﴿**يا أيّها الناسُ اتّقوا ربَّكُم الذي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ واحِدَةٍ وخلق منها زَوْجها وبَثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونِساءً واتّقوا اللهَ الذي تَساءَلونَ بهِ والأرحامَ إنّ اللهَ كان عليكُم رقيباً**﴾ (النساء،1)، ﴿**يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا اللهَ وقولوا قَوْلاً سديداً يُصْلِحْ لكم أعمالَكُم ويغفرْ لكُم ذُنوبَكُم ومَن يُطِعِ اللهَ ورسولَهُ فقد فازَ فَوْزاً عظيماً**﴾ (الأحزاب،70-71)، أما بعد: فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرّ الأمور مُحْدَثاتها، وكل مُحْدَثة بِدعة، وكل بِدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. أمّا بعد:

فهذا كتاب ألّفته تحت عنوان "القضية الفلسطينية: الواقع والآفاق"، تحدّثت فيه عن القضية الفلسطينية في الماضي والحاضر، وملت فيه إلى

الإيجاز دون التفصيل، فجاء في خمسة أبواب، تناولت في الباب الأول موضوعين في فصلين: الأول: "الحروب الصليبية: قراءة في عوامل الانتصار والهزيمة"، بيّنت فيه أنّ انتصار المسلمين في الحروب يعود إلى عدّة عوامل هي: النزعة التوحيدية، والاستقلال السياسي والاقتصادي، وترسيخ القيم الدينية، وكان القصد من توضيح هذه العوامل توجيه نظر المسلمين المعاصرين إلى ضرورة الاستفادة من تجربة المسلمين السابقين والانتباه إلى تلك العوامل التي أدّت إلى الانتصار من خلال التوجّه إلى الوحدة، وتحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي، وبروز العلم الديني والشرعي. أمّا الفصل الثاني في الباب الأول فحمل عنوان: "نقض دعاوي الصهاينة في فلسطين وإثبات دعاوي المسلمين فيها" اجتهدت فيه أن أبيّن فيه الأصول التي اعتمدها اليهود في ادعائهم بحقّ امتلاك فلسطين، ثم أنقض هذه الأصول، ثم أطرح الأصول التي نقيم عليها حقّنا في فلسطين والتي تتلخّص في ثلاثة أصول: الأول: أخوّة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والثاني: أمّة الأنبياء واحدة، وأمّة محمد ﷺ هي الوارثة لأمّة الأنبياء، الثالث: أرض فلسطين مقدّسة قبل وجود بني اسرائيل وقبل ابتعاث موسى عليه السلام، ولما كانت أمّة محمد ﷺ هي الأمّة الوارثة لأمّة الأنبياء، فهي الأمّة الوارثة لأرض فلسطين وهي الوارثة للمقدّسات الموجودة فيها.

تحدّثت في الباب الثاني عن نشوء الصهيونية والتحرّك نحو فلسطين، واحتوى هذا الباب على مدخل وفصلين، تحدّثت في المدخل عن دور اليهود المتميّز في تكوين الحضارة الغربية العلمي والمالي، وألقيت الأضواء في الفصل الأول على نشوء الحركة الصهيونية وعن دور هرتزل فيها. كما تحدّثت في الفصل الثاني عن هياكل المنظمة الصهيونية وعن دورها في إنشاء اسرائيل.

وجاء الباب الثالث تحت عنوان "سقوط الخلافة وصعود القومية العربية" واحتوى هذا الباب على ثلاثة فصول، تحدّثت في الفصل الأول عن سقوط الخلافة العثمانية ونتائج ذلك وبيّنت عرض تيوودر هرتزل على الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد السماح بهجرة اليهود مقابل سدّ الدين العام للخلافة ورفض السلطان لذلك، ثم تحدّثت عن الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين ودورها في إسقاط الخلافة، وتحدّثت عن بنية الفكر القومي العربي الذي استندت إليه تلك الثورة، ووضّحت أنه هذا الفكر يعتبر الأمّة العربية تقوم على عاملي اللغة والتاريخ وأنه لا دخل للدين في قيامها، وبيّنت خطأ الفكر القومي العربي وأنّ الأمّة الموجودة من المحيط وإلى ما بعد الخليج هي أمّة إسلامية شكّل الدين الإسلامي عاملاً رئيسياً في هويّتها، وبيّنت أنه لا توجد أمّ' عربية بالمعنى القومي في أرض

الواقع ماضياً وحاضراً، أي أنه لم توجد أمّة عربية تقوم على عاملي اللغة والتاريخ.

ثم تحدّثت في الباب الثاني عن القضية الفلسطينية وتطوّراتها وكيف انتهت حرب الأيام الستة في عام 1967م إلى احتلال اسرائيل لأضعاف مساحة فلسطين عندما انتصرت على العرب فاحتلّت الجولان وسيناء والضفّة الغربية، ثم تحدّثت في الفصل الثالث عن حرب تشرين عام 1973م، وعن توقيع أنور السادات اتفاقات سلام مع اسرائيل في كمب ديفيد بعد زيارته للقدس عام 1977م.

وجاء الباب الرابع تحت عنوان "الإسلاميّون والقضية الفلسطينية" تحدّثت في الفصل الأول منه عن قيام منظمة التحرير الفلسطينية وعن الأمور التي استحدثها ياسر عرفات وحركة فتح في مجال القضية الفلسطينية والذي قام على الفصل بين القضية الفلسطينية والأمّة واعتبار أنّ قضية فلسطين هي قضية الشعب الفلسطيني فقط، كما استحدث ياسر عرفات أمراً آخر في مجال القضية الفلسطينية هو اعتباره أنها قضية عسكرية فقط دون أي ارتباط بقضايا الأمّة الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية والعقلية والخلقية والتربوية إلخ...، وبيّنت أنّ الذي ساعده على إمضاء استحداثاته الجديدة في الساحة الفلسطينية هو وصول التيار

القومي إلى طريق مسدودة بعد عام 1967م، فاتكأ على العمل الفدائي من أجل امتصاص مشاعر النقمة الملتهبة ضدّ الأنظمة القومية آنذاك، ثم تحدّثت في الفصل الثاني عن غياب الإسلاميين عن العمل الفدائي في الستينات وسبب ذلك، وبيّنت أنّ سبب ذلك هو ما طرحه حسن الهضيبي وموقفه المعادي لأيّ عمل عسكري أو فدائي، وبيّنت خطأ ذلك الموقف ثم بيّنت دور الإسلاميين في الانتفاضتين وأنّ اشتراكهم هو تعبير عن مجاهدة الأمّة للصهاينة وإسقاط للإثم عنها. وبيّنت أنّ مجاهدة الأعداء ليس وقفاً على الدولة الإسلامية بل هو واجب على الأمّة في حال غياب الدولة أو تقصيرها، ولما كانت الحركات والجماعات الإسلامية هي الممثّلة للأمّة كان قتالها شرعياً، وهو ما غفل عنه حسن الهضيبي وانتبهت له الحركات والجماعات الإسلامية مؤخّراً.

ثم جاء الباب الخامس تحت عنوان "الأمّة بين الامبراطورية الأمريكية واسرائيل الكبرى" تحدّثت في الفصل الأول عن قيادة الامبراطورية الأمريكية وعن أهدافها وعن كيفيّة مواجهتها، وتحدّثت في الفصل الثاني عن مشروع "الشرق الأوسط الكبير" الذي طرحه بوش في حزيران من عام 2004م والذي يستهدف إحداث تغيير جذري في المنطقة باتجاه التغريب، ثم تحدّثت في الفصل الثالث عن اسرائيل الكبرى

وعن أطماع شارون في الضفة الغربية، وأنه عندما أعلن انسحابه من غزّة في عام 2005م كان يقصد الاستفراد بالضفّة الغربية وإقامة القدس الكبرى الموحّدة.

ثم تحدّثت في الخاتمة عن فشل المنهجين: القومي العربي والوطني في إحداث أيّ تقدّم في القضية الفلسطينية وسبب ذلك، ثم بيّنت دور التيار الإسلامي وأنه عندما يجاهد في فلسطين إنما يفعل ذلك ممثّلاً للأمّة، وأنه سينجح بتحقيق تقدّم -بإذن الله- في مجال القضية الفلسطينية لكن شريطة أن يتجنّب الأخطاء التي وقع فيها التياران: القومي والوطني، وأن يعتمد الإسلام في بناء الفرد والمجتمع، وأن يعتبر القضية الفلسطينية قضية الأمّة وليست قضية الفلسطينيين وحدهم، وأن تستهدف الجماعة المسلمة التي تقود مجاهدة الصهاينة إقامة الدولة الإسلامية التي سيكون عليها عبء استكمال تحرير الأرض الفلسطينية كلها واستعادة حقوق الأمّة من الصهاينة المغتصبين، وقد ختمت كتابي متفائلاً بوعد الله الذي ورد في سورة الإسراء، والذي تحدّث عن دخول المسجد الأقصى حيث قال: **﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً . فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً . ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ**

وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً . إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً﴾ (الإسراء،4-7). وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

كتبه

غازي التوبة

altawbah@al-ommah.org

الثلاثاء 1 من ربيع الآخر 1426هـ

الموافق 10 من آيار (مايو) 2005م

مدخل

فلسطين أرض الأنبياء

اتسمت أرض فلسطين بأنها مهد معظم الأنبياء الذين تحدثت عنهم الديانات السماوية الثلاثة: اليهودية، والمسيحية، والإسلام، ومن هنا برزت السمة الدينية في القضية الفلسطينية حاضراً، فقد وُلِد ابراهيم عليه السلام في العراق وأكمل حياته في فلسطين، أما عيسى عليه السلام فقد ولد في بيت لحم من فلسطين وأمضى حياته بين القدس والناصرة وطبرية إلخ... أما موسى عليه السلام فقد ولد في مصر وتنقل بين فلسطين ومصر، وكلّمه الله تعالى في جبل الطور في سيناء ، وسنجد الشيء نفسه عند الحديث عن يحيى وزكريا إلخ... إذن كثير من الأنبياء الذين تحدث عنهم القرآن الكريم، ولدوا وعاشوا في هذه المنطقة، ومن هنا ارتبطت القضية الفلسطينية بالأديان السماوية الثلاثة. لذلك تعرضت الأمة الإسلامية لمشاكل نتيجة ارتباط فلسطين بالجانب الديني لكل من المسيحية واليهودية، فقد جاء المسيحيون لاسترجاع قبر المسيح عليه السلام من أيدي البرابرة المسلمين – حسب زعمهم– فكانت الحروب الصليبية، وجاء اليهود لتحرير أرض الميعاد من أيدي مغتصبيها المسلمين

-حسب زعمهم- فكان الصراع العربي اليهودي بدءاً من عام رَجَبٌ مُحَرَّمٌ رَمَضَانٌ مُحَرَّمٌ م إثر الاحتلال الانكليزي لفلسطين، والذي تضمّن عدة حروب، منها: حرب النكبة عام 1948م، وحرب النكسة عام 1967، وحرب رمضان عام 1973م إلخ... ونحن سنتعرض للحروب الصليبية بشكل سريع، ثم سنعرج على الصراع العربي اليهودي بشكل تفصيلي لأنه أصل موضوعنا وبحثنا.

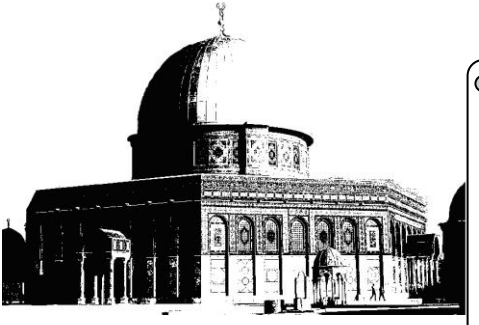

الباب الأول

قضية فلسطين: الصليبيون في الماضي، والصهاينة في الحاضر

الفصل الأول

الحروب الصليبية: قراءة في عوامل الانتصار والهزيمة

استمرت الحروب الصليبية ما يقرب من مائتي سنة، حتى تمكّن المسلمون أن يطردوا الصليبيّين بشكل كامل، لكننا نقف مشدوهين أمام معلم أساسي هو سرعة صعود الأمة الإسلامية في سلم الانتصار وفرض التراجع على القوى الصليبية، إذ حدث ذلك بعد أربعين سنة تقريبا، حينما احتل عماد الدين الزنكي قلعة الرها التي كان احتلالها إيذانا بانتهاء الهبوط وبداية الصعود للأمة الإسلامية وعلى العكس ببداية الهبوط وانتهاء الصعود بالنسبة للقوى الصليبية.

ما السبب في ذلك؟ السبب هو الصفات التي اتصفت بها الدول التي جاءت استجابة للاحتلال الصليبي.

الدولة المواجهة للصليبيين :

تشكلت عدة دول بعد الاحتلال الصليبي للقدس عام 1099م، منها: الدولة الزنكية، والدولة الأيوبية، ثم دول المماليك، لكنها كانت

تتصف جميعها بصفات مشتركة أهلتها للانتصار، وأبرز هذه الصفات هي:

1- النزعة التوحيدية :

لقد كانت هذه النزعة التوحيدية موجودة عند بعض القادة قبل أن يستطيعوا أن يشكلوا دولاً ومن هؤلاء قطب الدين مودود أتابك الموصل، سلف عماد الدين الزنكي، فقد اجتمعت جيوشه مع جيوش طغكتين أتابك دمشق مع جيوش أمير سنجار، والأمير إيازين إيلغازي سنة 507هـ/1113م، بالقرب من طبرية، وتم تدمير الجيش الصليبي تماما، ومما خفّف من قيمة الانتصار العسكري، اغتيال مودود أتابك الموصل في ربيع الثاني/أكتوبر 1113م، على يد أحد الباطنية، ثم موت رضوان أمير حلب مما خفف وطأه الهجوم على جبهة الشمال [1].

ثم برز عماد الدين الزنكي عام 521هـ/1127م، حاكما للموصل، ثم حكم حلب 522هـ، ثم استولى في العام التالي على حماه، ثم استولى على حمص 532هـ/1143م[2]، ثم انتزع "الرها" من أيدي

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص187-191 .

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص359 .

الصليبين عام 1144م، بعد حصار دام ثمانية وعشرين يوما[1]، وكان سقوطها صدمة نفسية مؤلمة للصليبين[2] في كل مكان لأنها كانت أول أمارة صليبية تقوم على الأرض الإسلامية، ولأنها كانت مرتبطه بتاريخ المسيحية المبكر، وكان سقوط الرها من الناحية العسكرية كسباً كبيراً لأنه جعل وادي الفرات منطقه تخضع للسيطرة الإسلامية، وكان هذا الانتصار بداية النهاية للصليبين.

خلف نور الدين الشهيد والده عماد الدين الزنكي إثر اغتيال الأخير على يد الباطنية عام 1146م، وسارعلى نهج والده في توحيد البلاد الإسلامية وكانت دمشق هي البلد الوحيد الخارج عن نطاق التوحيد شمال الخلافة الإسلامية، وكان حاكمها معين الدين أنر يمثل عقبة في وجه جهود نور الدين محمود، وفي كل مرة كان يظهر فيها نور الدين محمود أمام أسوار مدينة دمشق كان الصليبيون يهبون لنجدتها، ثم عقد تحالفاً ضعيفا معها بعد موت حاكمها، إلا أنه استطاع أن يدخلها في النهاية برغبة أهلها الذين سئموا ظلم حاكمهم[3].

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 9 ، ص 8-9 .
(2) علية الجنزوري، إمارة الرها الصليبية، القاهرة 1975م، ص308-312 .
(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص327 .

وهكذا استطاع نور الدين محمود أن يوحّد الجبهة الشرقية، ثم اتجهت أنظاره إلى مصر، وكانت تحكمها الخلافة الفاطمية، وتسابق في الوصول إليها مع الصليبين، واستغل المنازعات الداخلية، فأرسل أسد الدين شيركوه وبرفقته شاب في السابعة والعشرين من عمره هو ابن أخيه صلاح الدين يوسف الأيوبي، الذي خلف أسد الدين شيركوه في الوزارة بعد وفاته 564هـ/1169م، ثم استطاع صلاح الدين أن يلغي الخلافة الفاطمية ويلحق مصر بالخلافة العباسية، وذلك عام 567هـ/1171م[1].

وهكذا توحدت كل من بلاد الشام والعراق والجزيرة ومصر تحت راية واحدة، ثم حدثت معركة حطين في 4 يوليو 1187م[2]، التي كانت مقدمه لأخذ القدس من الصليبين في 2 اكتوبر 1187م، وسارعت بعد ذلك المدن والقلاع الصليبية إلى الإستسلام لصلاح الدين فلم يبق في أيدي الصليبين إلا بعض مدن محدوده هي صور، أنطاكية، طرابلس،

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 9 ، ص 111-112 .
(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 9، ص 176-179 .

وهكذا تأكدت نهاية الحروب الصليبية، كثمرة لعملية التوحيد التي قامت بها الدولتان : الزنكية والأيوبية.

2- الاستقلال السياسي والإقتصادي:

لقد جاءت الدولة الزنكية استجابة لحاجة الأمة في مواجهة الهجوم الصليبي الكاسح، وقد بدأ الالتفاف حولها، وكانت قيادة هذه الدولة الزنكية مستقلة في قرارها، وكان أفقها الأمة ومصالحها، وكان المرجع الوحيد الذي ترجع إليه هو الخلافة العباسية على ضعفها، وكذلك كان صلاح الدين الأيوبي، يعلم الخلافة ببعض تصرفاته حينا، ويستشيرها حينا آخر، وفي إحدى المرات عام570هـ، كتب إلى الخليفة العباسي في بغداد يعدّد فتوحاته وجهاده ضد الفرنج، وإعادته الخطبة للخلافة العباسية، وطلب من الخليفة تقليده مصر واليمن والمغرب والشام وكل ما يفتحه بسيفه فوافته بحماة رسل الخليفة المستضيء بأمر الله بالتشريف والأعلام السود وتوقيع بسلطنة مصر والشام وغيرها[1].

(1) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص59-60 . أبوشامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، ج1، ص241 .

أما في المجال الإقتصادي فقد ذكرت كتب التاريخ أن الدولتين الزنكية والأيوبية كانتا دولتي حرب، وقد صيغ الإقتصاد ليكون في خدمة الدولة الحربية، فبعد أن كان الإقطاع الإداري هو السائد في الدولة السلجوقية سلف الدولة الزنكية، أصبح الإقطاع العسكري هو النمط الاقتصادي المتبع لدى الدولتين الزنكية والأيوبية، وهو الأنسب لتجييش الجيوش، لمرحلة مواجهة الصليبين، فقد اعتمد عماد الدين الزنكي على قوته العسكرية الخاصة، وربط الإقطاع بالخدمة العسكرية وولائه الشخصي وبذلك نجح في تحقيق انتصاره على الصليبين في الرها عام 1144م، وأصبحت الإقطاعات وراثية في عهد نور الدين محمود، وكانت هناك سجلات تبين عدد الرجال والعتاد الذين كان على كل أمير صاحب إقطاع أن يقدمهم لجيش نور الدين محمود[1]، واستمر صلاح الدين الأيوبي على نهج نور الدين محمود وأبقى الإقطاعات الوراثية وقد ارتكز الإقطاع على الأرض الزراعية.

(1) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص52، أبوشامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، ج1، ص57-58، ص69، ص89 .

وكان يمنح صلاح الدين رواتب نقدية وعينيّة لصغار الجنود والفرسان الذين لايأخذون إقطاعات زراعية[1]، وكان من حق السلطان عزل أي أمير عن إقطاعه العسكري في حال التقصير في أداء الواجبات العسكرية في الجهاد ضد الصليبين، لذلك يتعين أن نعتبر هذه الصورة من التنظيم الإقطاعي تقوية للسلطة المركزية، وإحكاماً لسيطرة السلطان على الأمراء التابعين له تحت وطأه العزل والحرمان من الإقطاع[2].

3- ترسيخ القيم الدينية :

ليس من شك بأنّ زيادة العلم بالدين يساهم في قوة الأمّة، ويساعدها في مواجهة الأحداث، لذلك قام قادة الدولتين الزنكية والأيّوبية بإنشاء المدارس الدينية التي تدرّس مختلف العلوم الدينية في بيت المقدس، والشام، والقاهرة، والاسكندرية، وقام العلماء والفقهاء الذين تخرّجوا من هذه المدارس بشحن روح الحماسة في نفوس المسلمين للدفاع عن بلادهم ودينهم ضد الصليبين، وقرّبت القيادات السياسية القيادات الدينية إليها، وضمّتها إلى حاشيتها، وصرفت لها الأموال، وقد برز إلى جانب صلاح

(1) ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، تحقيق الدكتور عزيز سوريال ،ص 354-355 .
(2) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص82 .

الدين الأيوبي بعض العلماء كالقاضي الفاضل، وعماد الأصفهاني، والقاضي بهاء الدين بن شداد إلخ... وقد اتصف صلاح الدين الأيّوبي بشكل خاص بأنه كان محبّاً لعلوم الدين حريصاً على سماعها، لذلك كان يحضر دروس العلماء ويستمع إليهم في حلقاتهم العلمية.

إنّ هذه القواعد والتوجّهات التي أدّت إلى الانتصار والتي أشرنا إليها سابقاً، وهي: النزعة التوحيدية، والاستقلال السياسي والاقتصادي، وترسيخ القِيَم الدينية، مازالت عوامل فاعلة تحتاجها الأمّة -الآن- من أجل تسديد مسيرتها، وتحقيق الانتصار على الصهاينة في فلسطين، فهي بحاجة إلى الوحدة، وهي بحاجة إلى أن تسخّر الاقتصاد للمعركة وبنائه على حاجات الجهاد، وهي بحاجة إلى زيادة الوعي الديني وتعميق الإيمان من أجل إذكاء روح الجهاد وتوسيع حجم التضحيات بالمال والدمّ.

الفصل الثاني

نقض دعاوي الصهاينة في فلسطين وإثبات دعاوي المسلمين فيها

ما الدعاوي التي يقوم التأصيل الاسرائيلي عليها؟ يقوم على ادعاء أنهم شعب الله المختار من جهة، وأنّ الله وعدهم أرض فلسطين من جهة ثانية، فبماذا نرد على هذه الدعاوي؟

يقر التأصيل الإسلامي ابتداء بأنّ الله ﷻ فضل بني إسرائيل فقال ﷻ: ﴿**يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين**﴾ (البقرة، رضي الله عنه)، ﴿**ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين**﴾ (الجاثية، رضي الله عنه)، ولكن هذا التفضيل مقصور على الأقوام التي عاصرت بني اسرائيل وليس تفضيلاً إلى قيام الساعة كما ادعى بنو اسرائيل فيما بعد، ويقر التأصيل الإسلامي أيضاً بأنّ الله وعدهم بأرض فلسطين على عهد موسى عليه السلام حيث قال موسى عليه السلام مخاطباً قومه: ﴿**يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين**﴾ (المائدة، رضي الله عنه)، ويقر التأصيل الإسلامي أيضاً استناداً إلى القرآن الكريم

بأنّ بني إسرائيل لم يقوموا بالواجبات المترتبة على نعمة التفضيل تلك، بل كانوا نموذجاً في الجحود والوقوع في الشرك وعدم احترام الأنبياء وطاعتهم، ويمكن أن نبدأ بتوضيح موقفهم من الوعد بالأرض المقدسة، فهم لم يستجيبوا لطلب موسى عليه السلام بالدخول بل أعلنوا أنهم خائفون من ساكنيها الذين وصفوهم بالجبارين، وأعلنوا أنهم لن يدخلوها حتى يخرج ساكنوها، ولم يستجيبوا لنصيحة الرجلين المؤمنين بأن يبادروا ساكني فلسطين بالقتال، وأكدوا أنهم لن يدخلوها مادام ساكنوها فيها، وطلبوا في قلة أدب صارخة أن يذهب موسى عليه السلام وربه لمقاتلة ساكني فلسطين وكأنّ الأمر لا يعنيهم ولا يهمهم، وكانت النتيجة تحريم الله الأرض عليهم ومعاقبتهم بالتيه في الصحراء وقد بينت آيات القرآن الكريم كل ذلك فقال سبحانه وتعالى: ﴿**قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون . قال ربي إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين**﴾ (المائدة، صدر صدر – مجموعان صدر).

ولقد كان موقفهم من قضية توحيد الله لا يقل سوءاً عن موقفهم من قضية الأمر بدخول (الأرض المقدسة) ومن ذلك طلبهم إلى موسى عليه السلام أن يجعل لهم أصناماً يعكفون عليها عندما مروا على قوم يعبدون الأصنام، فغضب موسى عليه السلام من ذلك غضباً شديداً وبخاصة أنّ طلبهم جاء بعد إنعام الله سبحانه وتعالى عليهم بإنجائهم من عذاب فرعون في مصر، تحدث القرآن عن ذلك فقال سبحانه وتعالى: ﴿**وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. قال إنكم قوم تجهلون . إنّ هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون**﴾ (الأعراف، شعبان رابع أول محرم – رمضان رابع أول محرم)، ومن مواقفهم السيئة –أيضاً– في مجال التوحيد عكوفهم على العجل الذي أقامه السامري لهم عند ذهاب موسى عليه السلام إلى جبل الطور لجلب الألواح التي تحتوي على التشريعات الإلهية المنزلة إليهم، وإخبار الله سبحانه وتعالى له بهذا الكفر الذي وقعوا فيه، وغضب موسى عليه السلام عندما رآهم يعكفون على تلك الأصنام، وقد بين القرآن الكريم كل ذلك وبين غضب الله عليهم والذلة التي ستصيبهم في الحياة الدنيا، قال سبحانه وتعالى: ﴿**واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار، ألم يرو أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين . ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا**

لنكونن من الخاسرين . ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي، أعجلتم أمر ربكم؟ وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه، قال: ابن أم إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين . قال: رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين . أنّ الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا، وكذلك نجزي المفترين﴾ (الأعراف، سَبْعَانَ رَبِّنَا مُحَرَّمٌ – صَدَقَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ مُحَرَّمٌ)، وقد تحدثت آيات كثيرة في القرآن الكريم، عن جوانب كثيرة من انحراف بني اسرائيل تجلت في طلبهم رؤية الله بعد أن اختار موسى سبعين رجلاً من خيرة بني اسرائيل للذهاب معه إلى جبل الطور لإظهار الندم على عبادة العجل ومع أنهم في موقف توبة وندم فإنهم طلبوا أن يروا الله جهرة مما يدل على سوء أدبهم مع الله، قال ﷻ: ﴿**وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون**﴾ (البقرة، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ – مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ)، ثم بينت آيات أخرى سوء فطرتهم لطلبهم الفوم والعدس والبصل عوضاً عن المن والسلوى، قال ﷻ: ﴿**وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، اهبطوا مصراً فإنّ لكم ما سألتم**﴾

(البقرة، محرم ١٤٣٠هـ)، ثم تحدثت آيات أخرى عن اعتدائهم في السبت واحتيالهم على أوامر الله ومعاقبة الله لهم بأن مسخهم قردة فقال ﷻ: ﴿**ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين . فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين**﴾ (البقرة، محرم ١٤٣٠هـ-محرم ١٤٣٠هـ).

وقد تحدثت آيات كثيرة أخرى في سور متعددة عن إفساد بني اسرائيل وقسوة قلوبهم وتجذر الحسد والكراهية في نفوسهم وشقاقهم وكثرة اختلافهم وجبنهم وحرصهم على الدنيا واستكبارهم، ثم كانت نتيجة ذلك أن أوقع الله عليهم اللعنة وقضى عليهم بالذلة والمسكنة والغضب، أما عن اللعن فقال ﷻ: ﴿**لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون**﴾ (المائدة، شعبان رجب-رمضان رجب)، وأما عن الغضب والذلة والمسكنة فقال ﷻ: ﴿**وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**﴾ (البقرة، محرم ١٤٣٠هـ)، وفي سورة أخرى قال ﷻ: ﴿**ضربت عليهم الذلة والمسكنة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة**

ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ (آل عمران،صَدَقَ مُحَرَّمٌ مُحَرَّمٌ).

وكانت نتيجة غضب الله عليهم ولعنهم وضرب الذلة والمسكنة عليهم أن انتزع الله التفضيل منهم، ولم يعودوا شعب الله المختار المؤهل لسكنى الأرض المقدسة، بل شعب الله المغضوب عليه الذي نتعوذ في كل صلاة من أن نكون مثله عندما نقرأ قوله ﷻ: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾ (الفاتحة،مُحَالٌ-رَجَبٌ).

وبعد أن فندنا الطرح الاسرائيلي: علام يقوم التأصيل الإسلامي في إثبات حقنا في فلسطين؟ يقوم على ثلاث ركائز هي: أخوة الأنبياء من جهة، وتشكيل جميع أتباع الأنبياء أمة واحدة على مدار التاريخ البشري من جهة ثانية، وقدسية فلسطين سبقت وجود بني اسرائيل وسبقت ابتعاث موسى عليه السلام من جهة ثالثة.

أما الركيزة الأولى وهي أخوة الأنبياء فذالك يعني أنّ المطلوب من المسلم هو الإيمان بجميع الأنبياء وأنّ الكفر بواحد منهم هو الكفر بهم جميعاً فقد قال ﷻ: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل**

آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ (البقرة،﴿آل عمران﴾)، لذلك رأينا كل نبي يدعو إلى الإيمان بمن سبقه، ويبشر بمن يأتي بعده، ويأمر أتباعه بالإيمان به عند ابتعاثه، قال ﷻ: ﴿**وإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمدفلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين**﴾ (الصف،﴿آل عمران﴾)، ورأينا رسول الله ﷺ يبين لنا أنه أولى بموسى من بني اسرائيل، فعن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنّ النبي ﷺ لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوماً يعني عاشوراء، فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجّى الله فيه موسى وأغرق فرعون فصام موسى شكراً لله، فقال: "أنا أولى بموسى منهم" فصامه وأمر بصيامه. (رواه البخاري).

أما الركيزة الثانية في التأصيل الإسلامي فتقوم على أنّ أتباع الأنبياء أمة واحدة على مدار التاريخ البشري، فقد تحدّثت سورة "الأنبياء" عن معظم الأنبياء السابقين وهم: موسى، وهارون، وابراهيم، ولوط، وإسحاق، ويعقوب، وداوود، وسليمان، وأيوب، واسماعيل، وإدريس، وذو الكفل، وذو النون، وزكريا، ويحيى، وعيسى عليهم السلام جميعاً، وذكرت تفاصيل عن دعوتهم وعبادتهم إلخ... ثم أشارت إلى أنّ كل هؤلاء الأنبياء

يشكلون أمة واحدة فقال ﷻ: ﴿**إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾ (الأنبياء،صدق الله العظيم)، كذلك تحدثت سورة أخرى وهي سورة "المؤمنون" عن عدد من الأنبياء هم: نوح، وهود، وموسى، وهارون، وعيسى عليهم السلام، ثم قالت : ﴿**وإنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون**﴾ (المؤمنون،صدق الله العظيم)، ولما كان الرسول محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء وسيدهم وإمامهم كما تأكد ذلك عندما أمهم في الأقصى في رحلة الإسراء والمعراج، كانت أمته بالضرورة هي الوارثة لأمة الأنبياء الواحدة.

أما الركيزة الثالثة وهي قدسية فلسطين قبل وجود بني اسرائيل وقبل ابتعاث موسى عليه السلام فقد جاءت من وجود المسجد الأقصى فيها ومن أنها أرض مباركة، فقد بيّن القرآن الكريم أنّ المسجد الحرام أول بيت وضع للناس، قال ﷻ: ﴿**إنّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين**﴾ (آل عمران،صدق الله العظيم)، ثم بيّن الحديث الشريف أنّ المسجد الأقصى بني بعد ذلك بأربعين سنة، فقد جاء عن أبي ذر قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة. (أخرجه البخاري)، وقد تم كل هذا في بداية سكنى الإنسان للأرض، وقد وصف القرآن الكريم أرض فلسطين بأنها مباركة عندما هاجر إليها ابراهيم ولوط

-عليهما السلام- قبل وجود بني اسرائيل، قال ﷻ: ﴿**ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين**﴾ (الأنبياء،مكية)، لذلك عندما دعا موسى عليه السلام قومه إلى دخول فلسطين قال لهم: ﴿**يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم**﴾ (المائدة،مدنية)، ففلسطين مقدسة قبل دعوتهم إلى دخولها، وكذلك عندما عرج الرسول محمد ﷺ إلى السماء كان عروجه من المسجد الأقصى إبرازاً لقدسيته، وكانت واقعة الإسراء المقصود منها تعليم أمة محمد ﷺ الوارثة لأمة الأنبياء الربط بين أقدس مكانين: المسجد الحرام والمسجد الأقصى، قال ﷻ: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آيتنا إنه هو السميع البصير**﴾ (الإسراء،مكية).

رأينا فيما سبق أنّ التأصيل الإسلامي لحقنا في فلسطين يقوم على ثلاث ركائز: الأولى: الرسول محمد أخ للرسول موسى عليهما السلام، ونحن أولى بموسى من بني اسرائيل لأنهم عاصون له ومحرفون لرسالته ومغضوب عليهم من الله، والثانية: أمة الأنبياء واحدة على مدار التاريخ، وأمة محمد هي الوارثة لأمة الأنبياء، والثالثة: فلسطين مقدسة قبل وجود بني اسرائيل وقبل ابتعاث موسى عليه السلام، وطالما أنّ أمة محمد ﷺ هي

الوارثة لأمة الأنبياء فهي الوارثة لأرض فلسطين المقدسة وهي الوارثة للمقدسات الموجودة فيها.

والآن بعد أن فندنا الدعاوي الاسرائيلية، وبيّنا ركائز التأصيل الإسلامي نتحدّث في الباب الثاني عن نشوء الصهيونية وتوجّهها إلى فلسطين، ونتحدّث عن الهياكل الإدارية للمنظمة الصهيونية العالمية التي تكوّنت في بازل عام رَجَبٌ رَمَضَانٌ شَعْبَانٌ مُحَرَّمٌ.

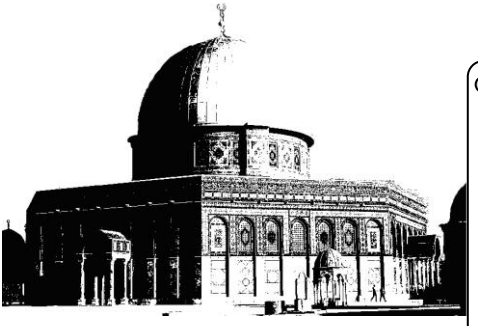

الباب الثاني

نشوء الصهيونية و التحرك نحو فلسطين

مدخل

دور اليهود في تكوين الحضارة الغربية

تكونت الحضارة الغربية نتيجة عدة عوامل منها: نشوء الرأسمالية، والتطور العلمي الذي بدأ بعصر البخار ثم عصر الكهرباء إلخ...، ونشوء المذهب البروتستنتي، والتوجه العقلاني الذي ابتدأ بعصر الأنوار إلخ...

ولعب اليهود دوراً بارزاً في الحضارة الغربية، وجاءت بداية هذا الدور مع نشوء المذهب البروتستنتي الذي ربط بين العهد القديم والعهد الجديد (بين التوراة والانجيل)، كما لعبوا دوراً بارزاً في كل التطورات السياسية والعلمية والمالية. فعلى المستوى السياسي استفادوا من مناخ الحريات الذي أتاحته الثورة الفرنسية في أوروبا والذي دعا إلى الحرية السياسية لجميع المواطنين أدّى إلى بروز قيادات سياسية منهم في مختلف التجمعات اليسارية واليمنية، وعلى المستوى المالي استفادوا من مناخ النظام الرأسمالي الربوي في تكوين ثروات ضخمة فبرزت أسر يهودية جمعت ثروات طائلة كأسرة روتشيلد وفورد إلخ...، وعلى المستوى العلمي برز منهم علماء كان لهم دور أساسي في توجيه الحضارة الغربية من أمثال

دارون في مجال أصل الخليقة، وماركس في مجال أهمية الاقتصاد في تكوين المجتمعات البشرية، وفرويد في إبراز أهمية الطاقة الجنسية في تكوين الفرد النفسي، ودور كهايم في الإشارة إلى أهمية العوامل الاجتماعية في دورة الحياة البشرية إلخ... وكان الوضع الطبيعي أن يذوب اليهود في المجتمعات الأوروبية، طالما أن الفرصة متاحة لهم ليكونوا جزءاً من شعوبها، لكن التيارات الصهيونية التي برزت في كل من بولندا وروسيا وألمانيا وغيرها قاومت هذا التوجه، واعتبرت الشعب اليهودي أمّة كبقية الأمم مستفيدة من الطرح القومي الذي عمّ كل أوروبا في القرن التاسع عشر، كذلك دعت الصهيونية إلى تكوين دولة لليهود، وكان كتاب "دولة اليهود" لهرتزل أبرز تعبير عن مثل هذا التوجه.

الفصل الأول

أضواء على نشوء الحركة الصهيونية

الصهيونية حركة سياسية وهي ذات ارتباط بالديانة اليهودية، وهي تعبير عن رغبة اليهود في استكمال شروط قوميتهم، وتبلورت الصهيونية في القرن التاسع عشر، وأعلن هرتزل في المؤتمر الصهيوني الذي عقد في بال عام 1897م بأن العودة إلى صهيون يجب أن تتبعها عودتنا إلى اليهودية، واعترف وايزمن أول رئيس لدولة اسرائيل تلازم الصهيونية واليهودية فقال: "إن يهوديتنا وصهيونيتنا متلازمتان متلاحقتان ولا يمكن تدمير الصهيونية دون تدمير اليهودية" ووضّح (بن غوريون) أن الصهيونية تستمد وجودها وقوتها من مصدرين: الأول: التوراة، الثاني: الثورات التي اجتاحت أوروبا في القرن التاسع عشر.

لم يكن تيودور هرتزل هو مؤسس الفكر الصهيوني بل سبقه عدد من الأشخاص استفاد من طرحهم وأبرزهم ليوبنسكر (1822-1891م) الطبيب الروسي الذي كان داعية إلى اندماج اليهود في المجتمع الروسي، ثم انقلب بعد الاضطهاد الذي تعرضوا له في

الثمانينات من القرن التاسع عشر، ليصبح من الناشطين في الدعوة الصهيونية قد أصدر كراساً عام 1882م بعنوان "التحرر الذاتي" كتبه باللغة الألمانية، وبتوقيع (يهودي روسي) ووصفه بأنه إنذار تحذيري من يهودي روسي إلى بني قومه.

وقد لخّص بنسكر في الكراس فكرته الصهيونية على النحو التالي: "اليهود ليسوا أمة حية، إنهم غرباء في كل مكان لذا يحتقرهم العالم، مساواة اليهود في الحقوق المدنية والسياسية لا تكفي لرفع شأنهم في أعين الشعوب، والحل الوحيد والصحيح ينطوي على خلق قومية يهودية وإيجاد شعب له كيانه الخاص وأرضه، كما أن تحرر اليهود ووقوفهم على قدر المساواة، أمة بين سائر الأمم، يمكن عن طريق حصولهم على وطن خاص بهم وحدهم" وانتمى بنسكر إلى حركة "أحباء صهيون" التي أقيمت في روسيا (1882م) مدشّنة بداية الاستيطان العملي في فلسطين، وداعية إلى إنشاء جمعيات صهيونية استيطانية، وقد أصبح هذا المشروع الاستيطاني واقعاً على الأرض قبل تشكيل الصهيونية السياسية، وبدعم مالي من البارون الفرنسي روتشيلد.

وفي الحقيقة كان دور هرتزل عملياً أكثر منه فكرياً، فهو قد نجح في تجميع حركات "أحباء صهيون" في المنظمة الصهيونية العالمية، وقد حضر

المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897م في بازل نحو 260 اتحاداً من "أحباء صهيون"، أما الجانب الفكري للمؤتمر الصهيوني فقد أخذه ممن سبقه ومن "أحباء صهيون".

ويمكن أن ندون الملاحظات التالية على تلك الحقبة:

1- ليس من شك بأن هناك ارتباطاً بين المشروع الصهيوني والمشروع الاستعماري في المنطقة، ويدل على ذلك إعطاء بريطانيا وعد بلفور لليهود في عام 1917م، وهو الذي يعني الموافقة على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وقد جاء ذلك الوعد متوافقاً مع جملة التطلعات الاستعمارية لانكلترا في استعمار بلاد الشام في تلك المرحلة، ولكن هل جاء ذلك الوعد نتيجة إرادة واحدة هي الإرادة الانجليزية؟ لا، لم يأت نتيجة إرادة واحدة، بل جاء نتيجة تلاقي إرادتين، هما: الصهيونية، والانجليزية، فالصهيونية سعت إلى استصدار ذلك القرار من دولة عظمى كانكلترا، وقد كان التطلع إلى أحد الدول العظمى من أجل دعم المشروع الصهيوني قديماً منذ نشأة المؤتمر الصهيوني عام 1897م، وقد نقل مؤرخو حياة هرتزل سعيه المستمر لاستصدار "براءة" من إحدى الدول العظمى من أجل دعم المشروع الصهيوني، وكان توجهه الأول نحو ألمانيا، ثم توجّه إلى بريطانيا أن

تدعم المشروع الصهيوني، وعبّر عن ذلك في المؤتمر الصهيوني الرابع الذي عقد في لندن بقوله: "انكلترا، انكلترا العظيمة، انكلترا المطلة على كل البحار، ستفهم تطلعاتنا. من هنا ستنطلق الفكرة الصهيونية وتحلّق بعيداً وعالياً، ونحن على ثقة من ذلك".

2- استفادت الصهيونية من مناخ نشوء القوميات في أوروبا في القرن التاسع عشر، واعتبرت الشعب اليهودي شكّل قومية، لكن هذه القومية تنقصها الأرض لكي تقيم عليها دولة، ومن هنا جاءت الصهيونية كمنظمة سياسية لتحقق هذا الغرض، واعتبرت فلسطين هي الأرض التي يجب أن يحررها اليهود من أجل إقامة الدولة، وقد عُرض على اليهود أكثر من مكان لإقامة دولتهم في مراحل متعددة، وقد جاء ذلك في مرحلة مبكرة من قيام المنظمة الصهيونية العالمية، فقد عرضت انكلترا على المؤتمر الصهيوني الرابع أوغندا كأرض لاستيطانهم وإقامة دولتهم، وقد بحث المؤتمر هذا الاقتراح، ولكنه رفض بأغلبية الأصوات، وكذلك أقام ستالين في الثلاثينات من القرن العشرين دولة لليهود في بيروبدجان في شرق روسيا، وسمح لهم بأن يتكلّموا فيها لغتهم الخاصة بهم (الإيديش)، كما سمح لهم بأن يمارسوا فيها كل طقوسهم وعاداتهم لكي تكون تعبيراً عن شخصيتهم، وكان هدف

ستالين من ذلك حل مشكلة اليهود القومية، لكن المعلوم تاريخياً أن ذلك الهدف لم يتحقق ولم تنجح تلك الدولة في جمع اليهود، وعلى العكس من ذلك، فعندما قامت دولة اسرائيل عام 1948م، فر اليهود من دولة بيرويدوجان إلى اسرائيل فما الذي جعلهم يفعلون ذلك؟ لاشك أن العامل الديني التوراتي هو الذي جعلهم يفعلون ذلك، وجعلهم يصرون على عدم إقامة دولتهم في أوغندا أو في الأرجنتين، أو في بيروبدجان أوغيرها من البلدان المقترحة، وهنا تتأكد حقيقة استفادة الصهاينة في بناء فكرهم القومي متوافقاً مع الدين، مخالفين عموم الفكر القومي الأوروبي الذي قام متعارضاً مع الدين.

3- ولّدت الحضارة الغربية مناخاً ليبراليّاً في أوروبّا في القرن التاسع جيداً لاندماج اليهود في المجتمعات الغربية، وبخاصة عندما دعت إلى الحرية بشكل عام وحرية المعتقدات والأديان بشكل خاص، وعندما عاملت أفراد المجتمع كمواطنين بغض النظر عن أديانهم وأعراقهم، وعندما أعلنت تشريعات حقوق الإنسان إلخ... كما شكّلت الحضارة الغربية بأسسها وأصولها التي قامت عليها فرصة كبيرة لإنهاء المسألة اليهودية في المجتمعات الأوروبية، لكننا وجدنا الصهيونية قامت بحركة معاكسة لتاريخ أوروبا عندما قاومت اندماج اليهود في مجتمعاتهم، وكان الهدف

الأول لمنظمة الصهيونية العالمية عند إنشائها هو الحيلولة دون اندماج اليهود في مجتمعاتهم كما كان البند الأول الذي تبحثه مؤتمراتها هو رسم الخطوات وتوعية اليهود من مخاطر الاندماج.

وبكل أسف نجحت القيادة الصهيونية في الاستفادة من مناخ الحرية الذي أتاحته الحضارة الغربية، والاستفادة من المشروع الاستعماري الذي ولدته الرأسمالة الأوروبية، والاستفادة من وجود الثورات القومية في أوروبا، لتحقق أهدافها -ولو كانت عكس التاريخ- في إقامة دولة استيطانية، لكننا نحن المسلمين دفعنا ثمن كل ذلك بسقوط دولة الخلافة، وتمزيق أمتنا إلى دويلات وتشريد شعبنا في فلسطين، وقد تم كل ذلك من خلال مؤسسة إدارية هي المنظمة الصهيونية العالمية، فلنلق نظرة على هياكلها وتركيبتها.

الفصل الثاني

المنظمة الصهيونية العالمية ودورها في إنشاء اسرائيل

أنشأ تيودور هرتزل المنظمة الصهيونية العالمية عام 1897م إثر المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقد في بازل، وشكّلت تلك المنظمة إطاراً للنشاط الصهيوني على مدى نصف قرن أدى إلى إيجاد دولة اسرائيل، ولعبت المنظمة أدواراً مختلفة في حياة الشعب اليهودي، منها: السياسي، والثقافي، والاقتصادي، والسكاني إلخ...، ونحن سنستعرض في السطور التالية: هيكلها الإداري، وسنلقي الضوء على بعض الجوانب لأنشطتها المختلفة.

أولاً: الهياكل الإدارية للمنظمة الصهيونية العالمية:

1- المؤتمر الصهيوني:

هو برلمان الحركة الصهيونية، وهو الهيئة العليا في المنظمة الصهيونية، ودوره الأساسي تشريعي، وقراراته ملزمة للمنظمة، وينتخب المؤتمر رئيس المنظمة ونائبه، واللجنة التنفيذية، والمجلس العام، والمحكمة إلخ...

2- المجلس الصهيوني العام:

هو الهيئة العليا في المنظمة خلال الفاصلة بين مؤتمرين.

3- اللجنة التنفيذية:

وهي التي تدير العمل الصهيوني، وتتابع تفصيلاته وتطوراته، وتعمل اللجنة التنفيذية من خلال دوائرها التي يقف على رأس كل منها عضو من اللجنة. وأهم الدوائر هي: الهجرة والاستيعاب، هجرة الشبيبة، الشبيبة والرواد، الاستيطان، التنظيم، الإعلام، العلاقات الخارجية، الثقافة والتعليم، تعليم التوراة في المهجر، الصندوق، الإدارة. وقد أصبحت هذه اللجنة حكومة اسرائيل الأولى لدى إعلانها.

4- رئيس المنظمة الصهيونية العالمية:

وينتخبه المؤتمر ليقود المنظمة، وقد تعاقب على رئاستها كل من تيودور هرتزل (1897-1904م)، وتلاه دافيد ولعتون (1905-1911م)، وجاء بعده أوتوغاربرع (1911-1920م) وتلاه حاييم وايزمن (1920-1931م) وخلفه ناحوم سوكولوف (1931-1935م) ثم عاد وايزمن إلى الرئاسة في الولاية الثانية سنة 1935م وبقي حتى استقالته 1946م.

5- الجهاز القضائي:

وهو يتألف من محكمة المؤتمر والمدعي العام للمنظمة.

6- المراقب العام:

ومهمته الرقابة على الأنشطة المالية والاقتصادية للمنظمة الصهيونية ومؤسساتها وموظفيها، على مختلف المراتب ونواحي العمل، وينتخبه المؤتمر.

7- الجهاز المالي:

أولت المنظمة الصهيونية اهتماماً كبيراً بإقامة المؤسسات المالية اللازمة لتحويل عملها الاستيطاني والسياسي وأبرزها هذه المؤسسات المالية:

أ - صندوق الاستيطان اليهودي: وهو الجهاز المالي الأول للمنظمة الصهيونية.

ب- الصندوق القومي اليهودي.

ج- الصندوق التأسيسي.

وهو ذراع التمويل للوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية. وقد أقر تأسيسه في مؤتمر لندن (1920م) لتحويل إنشاء الوطن القومي اليهودي بناء على وعد بلفور.

ثانياً: الدور السياسي والثقافي والاقتصادي للمنظمة الصهيونية العالمية:

شكّلت المنظمة الصهيونية إطاراً للتفاعلات السياسية والثقافية والقيادية والاقتصادية بين التيارات الصهيونية المختلفة على مدار خمسين سنة فصلت بين أول مؤتمر صهيوني 1897م وبين قيام اسرائيل عام 1948م، كما شكّلت القيادة الفعلية ليهود العالم قبل إنشاء اسرائيل، وقد اتجهت المنظمة الصهيونية لتحقيق أهدافها في الهجرةوالاستيطان إلى المفاوضات مع الدول الكبرى للاعتراف بالحقوق القانونية لليهود، وناقش قضية اندماج في بعض المؤتمرات ووضع الخطة المضادة لها كما تحدثنا في فقرة سابقة، وحدث خلاف في أحد المؤتمرات حول الحصول على قضية "البراءة" من الدول الكبرى، هل هي محصورة بتركيا وحدها أم بكل الدول الكبرى؟ كما استغلّ التيار الآخر الذي كان يطلق عليهم "العمليون" ظروف يهود رومانيا في مؤتمر عام (1900م) من أجل زيادة الاستيطان في فلسطين دون انتظار "البراءة" أي موافقة تركيا، وراح هذا التيار يقوى

داخل المنظمة، وكذلك كانت المنظمة الصهيونية مجالاً للصراع بين العلمانيين والمتدينين، وكانت المنظمة -أيضاً- مجالاً للصراع بين الصهاينة الذين يرون إمكانية الاستيطان خارج فلسطين كمشروع أوغندا وبين الذي يرون أن الاستيطان يجب أن يكون في فلسطين وحدها, لكن المؤتمر السابع اتخذ قراراً بأن لا ينخرط الصهيونيون في أي نشاط استيطاني خارج فلسطين وقد نوقشت في أحد المؤتمرات مسألة الثقافة اليهودية، وكانت هناك مشاحنات بين العلمانيين والمتدينين، وبرز توجه إلى الاهتمام باللغة العبرية، وأصبحت تدار الجلسات بها في مرحلة تالية بعد أن كانت تدار باللغة الألمانية، كما حصل حوار ومناقشات بين المؤيدين للاعتماد على ألمانيا في الحصول على البراءة والدعم الدول أو الدول الأخرى، ومنذ صعود وايزمن في المؤتمرات الصهيونية أصبح التعويل على انكلترا وليس على ألمانيا في دعم المشروع الصهيوني.

تحدّثنا عن نشوء الصهيونية وعن المنظمة الصهيونية العالمية في السابق، وننتقل في الباب الثالث إلى الجانب العربي من القضية الفلسطينية فنتحدّث عن القومية العربية ودورها في إسقاط الخلافة العثمانية.

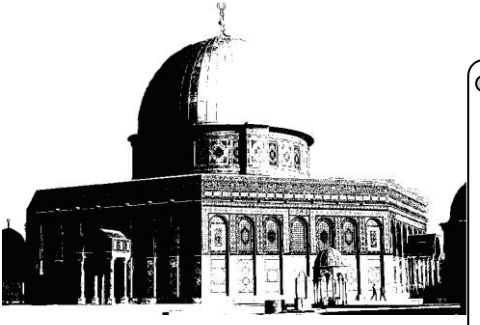

الباب الثالث

سقوط الخلافة وصعود القومية العربية

الفصل الأول

سقوط الخلافة العثمانية ونتائج ذلك

بدأ اليهود في أوروبا التطلع إلى إيجاد دولة لهم في القرن التاسع عشر -كما لاحظنا- في الباب السابق، وتوجه أحباء صهيون إلى فلسطين، وأنشأوا لهم فيها بعض المستوطنات، وحين نجح هرتزل في جمع التكتلات الصهيونية في مؤتمر بازل الأول عام 1897م، جعل من القواعد الرئيسية في سياسة المؤتمرات الصهيونية التوجّه إلى الخلافة العثمانية من أجل إقناعها بالسماح بهجرة اليهود واستيطانهم، وقد رأينا أنه قابل السلطان عبد الحميد وحاول إقناعه بذلك، وعرض عليه أن تتكفل المنظمة الصهيونية العالمية بسداد دين الخلافة العثمانية مقابل السماح لهم بالهجرة والاستيطان، لكن السلطان عبد الحميد رفض ذلك، وقد ركزت المنظمة الصهيونية العالمية على ألمانيا من أجل تبني القضية الصهيونية، وقد قابل تيوودر هرتزل الامبراطور الألماني عندما زار الخلافة العثمانية عام 1898م في كل من القسطنطينية والقدس وتحدث عن ذلك في المؤتمر الصهيوني، لكنه فشل في التوصل إلى نتائج حقيقية في ذلك، توجه المشروع الصهيوني إلى انكلترا وبرز ذلك مع استلام حاييم وايزمن رئاسة

المنظمة الصهيونية العالمية، ثم اندلعت الحرب العالمية الأولى، ودخلت تركيا في حلف مع ألمانيا في مواجهة انكلترا وفرنسا، واستغل الانكليز فرصة الحرب ليحرضوا الشريف حسين على الثورة، وتفاوض الأخير مع مكماهون سفيرهم في القاهرة، ووعدت انكلترا الشريف حسين بناءً على مفاوضاته مع مكماهون إقامة دولة مستقلة للعرب في حال قيامهم بثورة ضد الخلافة العثمانية وبالفعل ثار الشريف حسين، وأطلق الرصاصة الأولى في حزيران/يونيو عام 1916م من مقر إقامته في مكة المكرمة، ثم تحركت القوات الثائرة بمحاذاة البحر الأحمر، بقيادة أولاد الشريف حسين ومعهم لورنس، ثم التقت القوات العربية بالقوات الانكليزية في الأردن، ودخل الجنرال اللنبي القدس عام 1917م، ثم انهزمت القوات التركية وانسحبت من بلاد الشام، ثم ألغى أتاتورك الخلافة عام 1924م، وتقسمت المنطقة إلى عدة دويلات بناء على اتفاق سايكس بيكو هي: سورية، لبنان، الأردن، فلسطين، ثم انتدبت فرنسا على سورية ولبنان، ثم تقدم الملك عبد العزيز سلطان نجد وطرد الشريف حسين من الحجاز وضمها إلى ملكه لتأسيس المملكة العربية السعودية عام 1932م.

ومن الواضح أنّ الثورة العربية الكبرى استندت في ثورتها على الخلافة العثمانية على الفكرة القومية العربية، واعتبرت أن العرب يشكلون

أمة منفصلة لذلك من حقهم أن يشكلوا دولة منفصلة عن الأتراك، وكانت هذه الدعوى متأثرة بمناخ القوميات الذي ساد القرن التاسع عشر. وقد قام ساطع الحصري الذي رافق الملك فيصل في سورية والعراق في الدعوة إلى ايديولوجيا القومية العربية، وقد اعتبر ساطع الحصري أن الأمة العربية تقوم على عنصرين هما: اللغة والتاريخ، متأثراً بالقومية الألمانية، واستبعد الدين الإسلامي من عناصر تكوين الأمة العربية، واعتبر أن الدين لا يصلح بشكل عام لأن يكون مقوماً من مقومات الأمة قياساً على المسيحية التي لم تستطع أن تكون عاملاً من عوامل تكوين الأمم في أوروبا، بل تشكلت الأمم بعد انفراط عقد الامبراطورية الرومانية ذات التوجه المسيحي.

إن هذا الموقف القومي الذي يستبعد الدين من مقومات الأمة جعل الدول القومية التي قامت علمانية التوجه، وجعل الأحزاب القومية العربية علمانية التوجه أيضاً، وعندما أقام ساطع الحصري نظريته القومية في الأمة على عنصري اللغة والتاريخ لم يكن في دعواه تلك مستنداً إلى تحليل الواقع، بل كان ناقلاً من الفكر الغربي، وناظراً إلى التشابه بين الأمّة الألمانية المجزأة في القرن التاسع عشر والأمة العربية المجزأة في القرن العشرين،

وبين دور اللغة الألمانية البارز في تكوين الوحدة الألمانية، ودور اللغة العربية في تكوين الوحدة العربية.

إن استبعاد الدين الإسلامي من أي دور في تكوين الأمة حسب زعم الحصري جعل الايديولوجيا القومية ضعيفة التأثير، وجعل الدولة القومية متعثّرة في تعاملها مع الواقع، لأن الدين الإسلامي في حقيقة الأمر عنصر رئيسي في بناء الأمّة، ومتغلغل في كل جزئيات حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنفسية والعقلية والفنية إلخ...

وعند التدقيق والبحث في الواقع نجد أنه لا توجد أمّة عربية بالمعنى الذي طرحه القوميّون العرب، بمعنى آخر إنه لا توجد أمّة عربية في أرض الواقع تقوم على عاملي اللغة والتاريخ بل هناك في أرض الواقع أمّ إسلامية ممتدّة من المحيط وإلى ما بعد الخليج تقوم على عامل أساسي هو الدين الإسلامي[1] .

(1) وضّحت دور الدين الإسلامي وبشكل أخصّ القرآن والسنّة في تكوين الأمّة بالتفصيل في كتابي "إشكالية النهضة بين الفكر القومي العربي والصحوة الإسلامية" (ص72-94)، وليعد إليه من شاء التوسّع في معرفة ذلك.

إنّ هذا الخطأ من القوميّين العرب في التعامل مع الواقع، هو الذي جعل حكمهم للمنطقة العربية من أجدب الحكومات وأسوئها في كل المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية إلخ...

الفصل الثاني

القضية الفلسطينية وتطوراتها

انتدبت عصبة الأمم انكلترا على فلسطين، واعتبرت انكلترا أن إحدى واجباتها تنفيذ وعد بلفور الذي أعطته حكومة انكلترا للمنظمة الصهيونية العالمية في عام 1917م، لذلك نسقت بريطانيا الدولة المنتدبة أعمالها مع الوكالة اليهودية من أجل تحقيق أهداف الصهيونية العالمية في الهجرة والاستيطان.

وقد أحس أهل فلسطين بخطر الهجرة اليهودية والاستيطان اليهودي فهبوا مقاتلين الانكليز واليهود، وقامت عدة ثورات على الانكليز أبرزها ثورة حائط البراق عام 1928م، وقد انبثقت تلك الثورة نتيجة صراع حول ادعاء اليهود ملكية حائط البراق، لكن لجنة تحقيق شكلتها الحكومة الانكليزية أثبتت ملكية العرب لهذا الحائط ونعت ادعاءات اليهود في ذلك.

كذلك قام عزّ الدين القسام –رحمه الله– بتشكيل تنظيم من أجل مواجهة الهجرة اليهودية التي كان يحس بتدفقها من خلال ميناء حيفا

مكان إقامته وخطابته في مسجد الاستقلال، وقد قام عناصر جماعته التي شكلها في مختلف أنحاء فلسطين بمواجهة عدة مستوطنات أبرزها "مستوطنة تهلال" عام 1928م، مما دعا الصهاينة إلى تسوير مستوطناتهم وإقامة حراسات منظمة عليها، ثم خرج عز الدين القسام عام 1935م ثائراً في أَحراج يعبد في محيط نابلس، لكن الاستعمار الانجليزي حاصره، وقد استشهد عز الدين القسام –رحمه الله– في تلك المعركة عام 1935م.

لكن جذوة الأحداث لم تهدأ واغتيل "اندروس" [1] حاكم الجليل عام 1937م مما أدى إلى انتقال الثورة إلى كل أنحاء فلسطين، وبرز الحاج أمين الحسيني في فلسطين مترئساً الجانب السياسي في القضية الفلسطينية، وقد أدى اشتعال الثورة إلى تدخل الدول العربية وعلى رأسها العراق في دعوة أهل فلسطين في إيقاف الثورة من أجل توسطها مع بريطانيا من أجل تحقيق أهداف فلسطين في إيقاف الهجرة الاستيطان، واستجابت قيادة الثورة لذلك، ودعت إلى إيقاف الثورة، وقد أرسلت بريطانيا لجنة

(1) أخبرني والدي الذي كان ينتمي إلى جماعة عزّ الدين القسّام بأنه اغتال "اندروس" حاكم الجليل في الناصرة برفقة أربعة قسّاميين آخرين بناء على تنسيق مع قيادة أبو ابراهيم الكبير في حيفا.

تحقيق أصدرت تقريراً سمته "الكتاب الأبيض" رسمت فيه حدوداً للهجرة واقترحت حلولاً للقضية الفلسطينية بشكل عام.

نشبت الحرب العالمية الثانية في عام 1939م بين بريطانيا وفرنسا من جهة وبين ألمانيا وإيطاليا من جهة ثانية، ثم انضمّت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي إلى جانب الحلفاء، ودارت معارك طاحنة بين الجميع، وقتل الملايين من الجنود والمدنيين, وقد مرّت مدن بكاملها، ووقف العرب بشكل عام إلى جانب الحلفاء، وانتهت الحرب في عام 1945م بعد أن أسقطت الولايات المتحدة قنبلتين نوويتين على مدينتي هيروشيما وناكازاكي اليابانيّتين، ثم أنشأت الدول المنتصرة هيئة الأمم المتحدة في نيويورك، وأقامت إلى جانبه مجلس الأمن الدائم الذي يتكوّن من خمس دول لها حق النقض (الفيتو).

ثم أعلنت بريطانيا الدولة المنتدبة على فلسطين أنها ستنهي انتدابها على فلسطين في 15 مايو/أيار 1948م، واجتمعت هيئة الأمم المتحدة وأصدرت قراراً بتقسيم فلسطين إلى دولتين في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1947، وبدأ القتال بين العرب واليهود منذ ذلك الحين، وتشكّلت الهيئة العربية العليا لقيادة الفلسطينيّين في مواجهة اليهود، واجتمعت الجامعة العربية أكثر من مرة وأقرّت خطّة لمعاونة الفلسطينيّين، وشكّلت قيادة

واحدة للجيوش العربية، وأعلنت أن الجيوش العربية ستدخل فلسطين في 15 مايو 1948م، وبالفعل دخلت الجيوش العربية في ذلك التاريخ، ولكن الجيش الصهيوني كان أكثر عدداً وأسلحة وأحسن تدريباً مما جعله ينتصر على الجيوش العربية في كل الجبهات، وعُقدت أثناء الحرب هدنتان، بإشراف الأمم المتحدة، وبعد أن استولت اسرائيل على أكثر من 65٪ من أرض فلسطين. عقدت مصر اتفاقية هدنة نهائية مع اسرائيل في رودس بتاريخ 24 شباط/فبراير 1949م، مع استبقاء قطاع غزّة تحت حكمها، ثم عقدت الأردن اتفاقية هدنة في رودس بتاريخ 3 نيسان/ابريل 1949م بعد أن استبقت الضفة الغربية تحت حكمها، ثم أنشأ الملك عبد الله المملكة الأردنية الهاشمية من مجموع الضفتين: الشرقية والغربية، ثم وقّعت سورية هدنة مع اسرائيل في رودس في 20 تموز/يوليو 1949، ووقّعت لبنان مع اسرائيل اتفاقية هدنة في راس النافورة بتاريخ 23 أذار/مارس 1949م.

تأثّرت الأمّة بالانهزام أمام اليهود، وتفاجأت بقيام دولة اسرائيل، وأحسّت بالخزي والعار والألم، فبدأت سلسلة من التغييرات تجاوباً مع هذه المشاعر وكان أوّلها انقلاب حسني الزعيم في سورية في مارس من عام 1949م، والذي تم بتدبير من وكالة المخابرات الأمريكية (C.I.A) كما

اتضح فيما بعد، ثم اغتيل الملك عبد الله في القدس في عام 1950م، ثم قام عبد الناصر بانقلاب بتاريخ 23 تموز/يوليو 1952م على الملك فاروق، وحوّل مصر إلى نظام جمهوري، ورافقت هذه التغييرات السياسية الشاملة تساؤلات عن سبب النكبة، ومراجعات لكيفية الخروج منها، ومدارسات لأفضل المناهج والسبل للتغلّب عليها، وبرز الفكر القومي العربي، وعلا صوته، وارتفعت أحزابه وقياداته، وكان السبب في ذلك تحوّل مصر من الايديولوجية القومية الفرعونية إلى الايديولوجية القومية العربية، ثم أمّم عبد الناصر قناة السويس في تموز/يوليو عام 1956م، ثم قامت انكلترا وفرنسا واسرائيل بالاعتداء على مصر عام 1956م، لكنّ هذا العدوان فشل ولم يحقّق أهدافه بسبب وقوف أمريكا والاتحاد السوفييتي في وجهه، مما أعطى عبد الناصر شعبية كبيرة في العالم العربي، وجعله ذا تأثير كبير على الشارع العربي، وجعله قادراً على إحداث تغيير في عدد من الدول فيها، وبالفعل حدث انقلاب اليمن الشمالي عام 1962م، وأحدث ثورة في اليمن الجنوبي، ثم أحدث ثورة في ليبيا عام 1969م، والسودان والجزائر والعراق إلخ...، وجعل تلك الدول تستنسخ تجربة مصر السياسية والاقتصادية والتنظيمية، فتأخذ منحنى قومياً عربياً اشتراكياً، وتقلّد في إنشاء تنظيمات الاتحاد القومي والاتحاد الاشتراكي إلخ...

ثم وقعت المواجهة بين مصر واسرائيل في عام 1967م، ووقعت الهزيمة التي احتلّت اسرائيل في نتيجتها: سيناء من مصر، والضفّة الغربية من الأردن، والجولان من سورية، وقد أدّت هذه الهزيمة إلى انكفاء المدّ القومي وابتداء مرحلة جديدة في المنطقة.

الفصل الثالث

حرب تشرين واتفاقات كمب ديفيد

استلم أنور السادات الحكم بعد وفاة عبد الناصر عام 1970م، وألغى النفوذ السوفياتي في مصر عام 1972م، ثم خطّط لحرب رمضان مع حافظ الأسد، ثم وقعت الحرب في تشرين الأول عام 1973م، وفاجأ الجيشان المصري والسوري اسرائيل بالهجوم عصر عيد الغفران اليهودي، وحطّم الجيش العربي خط بارليف، لذلك انهزم الجيش الصهيوني في البداية، لكنه استعاد زمام المبادرة بعد عدّة أيام من بداية المعارك، وكان ذلك بإحداث شارون لثغرة في الضفة الغربية لقناة السويس، إذ استطاع إدخال عدد من الدبابات عند نقطة الدفرسوار، وتحرّكت هذه الدبابات لتحطيم بطاريات صواريخ سام التي كانت منصوبة في الضفة الغربية من القناة ، والتي كان يديرها عدد من الضباط السوفييت، والتي شلّت فاعلية الطيران الاسرائيلي، وأفقدته لأول مرّة سيطرته على ساحة المعارك، لكن القيادة الاسرائيلية بهذه الحركة استطاعت أن تقلب المعادلة في الساحة القتالية، وحصرت معظم الجيش المصري الضفة الشرقية من القناة، حيث لم يبق منه سوى مائتي دبابة في الضفة الغربية لمصر، وهي مخصّصة لحراسة

القصور الرئاسية في القاهرة، وكان بإمكان الطيران الاسرائيلي أن يبيد الجيش المحصور جميعه تقريباً في سيناء، وتذكر الروايات أن السادات كاد ينهار عندما وصلت الأمور إلى هذا الحدّ، مما استدعى تهديد الروس لأمريكا بالصواريخ الاستراتيجية لأنهم ظنّوا أن الأمريكان خدعوهم ، فكان رد الفعل الأمريكي أن حرّكت طائراتها التي تحمل القنابل النووية في القواعد العسكرية الأمريكية في أسبانيا لأول مرّة بعد الحرب العالمية الثانية مما استدعى احتجاج الأسبان على ذلك فيما بعد، وانتهت الحرب بتدخّل الأمم المتحدة واستصدار مجلس الأمن قرارات تأمر اسرائيل بالانسحاب، وهكذا توقّفت الحرب بعد حوالي أسبوعين من القتال، كانت حصيلتها هزيمة أخرى للجيوش العربية، لكن الإعلام حوّل هذه الهزائم إلى انتصارات، وسمّاها السادات حرب تحريك، إذ لم يقصد أبداً منها التحرير، لكنه قصد تحريك المفاوضات مع اسرائيل من أجل استرجاع سيناء، ومن الجدير بالذكر أن كيسنجر هو الذي أوحى للسادات بهذه الحرب، إذ ذكر له في مفاوضات سابقة "إن الحديد لا يلين ولا يتشكّل إلا عندما تكون حرارة عالية تصهره"، وقد كانت ثمرة هذه الحرب زيارة السادات للقدس في تشرين الثاني من عام 1977م، ثم وقّع السادات ومناحيم بيغن اتفاقات كمب ديفيد في عام 1978م تحت رعاية جيمي كارتر رئيس الولايات

المتحدة الأمريكية، ثم انسحبت اسرائيل من سيناء عام 1979م، وتحقّق الحلم الاسرائيلي بإخراج مصر التي هي أكبر قوة عربية من الصراع العربي الصهيوني.

وقد تميّزت حرب رمضان باستعمال البترول كسلاح، إذ تم إيقافه عن الغرب للضغط عليه، ثم ارتفع سعره فتجاوز سعر البرميل الواحد ثلاثين دولاراً مما أدخل ثروات هائلة إلى ميزانيات الدول المصدّرة، ولم تكن أمريكا بعيدة عن رفع سعر برميل البترول وذلك لتحقيق عدّة أهداف:

أوّلها: زيادة أرباح الشركات الأمريكية.

ثانيها: تمويل التجارب العلمية التي كانت تقوم بها أمريكا من أجل إيجاد بديل عن النفط.

ثالثها: ضرب الاقتصاد الأوروبّي والياباني وإفقاده القدرة على منافسة الاقتصاد الأمريكي من خلال اضطراره إلى استيراد بترول ذي سعر مرتفع، مما سيضطره إلى زيادة أسعار بضائعه، وقد عبّر كيسنجر عن ذلك في مؤتمر صحفي عقده في أوروبا بعد حرب رمضان من عام 1973م فقال: "لقد انتهى عهد مشروع مارشال الذي أقامته أمريكا لإنعاش الاقتصاد الأوروبّي بعد الحرب العالمية الثانية" إشارة منه إلى انخفاض سعر برميل

البترول الذي حرصت الشركات الأمريكية على تحقيقه من أجل مساعدة الاقتصاد الأوروبّي على الوقوف على قدميه بعد الحرب العالمية الثانية من أجل مواجهة المدّ الشيوعي.

سنتحدّث في الباب الرابع عن الإسلاميّين ودورهم في القضية الفلسطينية، كما سنتحدّث عن نشوء منظمة التحرير الفلسطينية، وعن التطوّر الذي أحدثه ياسر عرفات في مسار القضية الفلسطينية وسبب ذلك، وسنتحدّث كذلك عن دور الإسلاميّين في الانتفاضة الأولى.

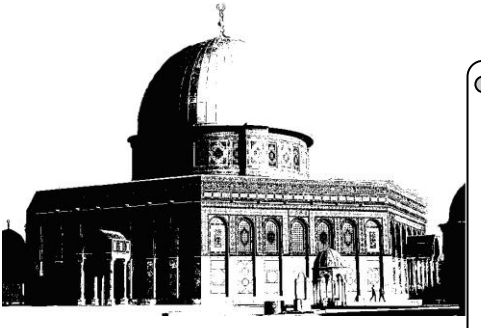

الباب الرابع

الإسلاميون

و

القضية

الفلسطينية

الفصل الأول

قيام منظمة التحرير الفلسطينية

قامت منظمة التحرير بعد مؤتمر القمّة العربي الأول الذي انعقد في يناير 1964م في القاهرة، وكان السبب المباشر الذي من أجله اجتمع الحكام العرب هو مواجهة اسرائيل في تحويلها لمنابع مياه نهر الأردن، وأبرزها نبع الدّان، ثم وقعت حرب حزيران وانهزمت فيها الجيوش العربية، فاضطرت الأنظمة إلى الاتكاء على العمل الفدائي الذي انطلق في عام 1965م على يد فتح من أجل تغطية قصورها الذي وقع في نكسة حزيران عام 1967م، ومن أجل امتصاص جانب من النقمة الشعبية على الأنظمة، لذلك تم الإبراز الإعلامي لمعركة الكرامة التي وقعت في آذار من عام 1968م، والتي استلم بعدها ياسر عرفات رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية، واستلمت حركة فتح منظمة التحرير الفلسطينية، فأصبح لها النصيب الأوفى من مقاعد اللجنة التنفيذية والمجلس الوطني والنقابات والاتحادات المنبثقة عن منظمة التحرير.

وكانت حركات وأحزاب عديدة قد انخرطت في العمل الفدائي بعد انطلاقه، وأبرزها حركة القوميّين العرب التي أنشأت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، كما أنشأ حزب البعث منظمة الصاعقة إلخ...، ثم حدث تصادم بين العمل الفدائي والحكومة الأردنية في ايلول/سبتمبر من عام 1970م، حيث أنهى النظام الأردني الوجود الفدائي في الأردن، مما اضطره إلى التمركز في لبنان.

ثم هاجمت اسرائيل لبنان في عام 1982م، وحاصرت بيروت واضطرت العمل الفدائي إلى الرحيل عن أرض لبنان.

وقد تقاسمت منظمة التحرير المسؤولية عن قضية فلسطين مع الأردن، لكنها انفردت بالمسؤولية، وأصبحت الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني منذ مؤتمر القمّة العربي الذي انعقد في الجزائر عام 1974م، ثم اندلعت الانتفاضة في ديسمبر 1987م مما اضطر الأردن إلى فكّ ارتباطه مع الضفّة الغربية في 1988/7/31م, مما حمل منظمة التحرير الفلسطينية على إعلان الدولة الفلسطينية في 15 نوفمبر 1988م في الجزائر، ثم وقعت حرب الخليج الثانية لإخراج العراق من الكويت في يناير 1991م، وانعقد مؤتمر مدريد في أكتوبر 1991م، واستمرت المفاوضات السرية بين منظمة التحرير والكيان اليهودي إلى أن تم التوصّل

إلى اتفاق أوسلو الذي وقّعه ياسر عرفات وإسحاق رابين في البيت الأبيض في 1993/9/13م.

والسؤال الآن: ما الذي أضافه ياسر عرفات إلى ساحة القضية الفلسطينية؟

لقد جاء عرفات إلى ساحة العمل الفلسطيني في مطلع الخمسينات، والقضية الفلسطينية مرتبطة بمفهوم الأمّة، فكانت الأمّة تعتبر القضية الفلسطينية قضية رئيسية من قضاياها إن لم تكن تعتبرها القضية الأولى، وكان الشعب الفلسطيني يعتبر القضية الفلسطينية قضية الأمّة العربية الإسلامية وقضيته في الوقت نفسه، وأنّ الطرفين: الشعب الفلسطيني خاصة والأمّة عامّة مسؤولان عن القضية الفلسطينية، وقد أكّدت الأحداث التاريخية هذه التوجّهات، فمنذ أن حكم الانكليز فلسطين عام 1917م لم يواجه شعب فلسطين الانكليز واليهود وحدهم، بل كان ذلك بمعاونة العرب والمسلمين، وشارك المقاتلون العرب إخوانهم الفلسطينيين مقاتلة اليهود و الانكليز في ثورة عام 1936م وغيرها من الأحداث، ولم تقرّر القيادات الفلسطينية موقفاً سياسياً في أيّ وقت دون مشاورة العرب والرجوع إليهم.

جاء ياسر عرفات إلى الساحة السياسية وكانت تلك المعطيات تشكّل معالم الخريطة السياسية، فقدّم طرحاً جديداً يتلخّص في أنّ القضية الفلسطينية هي قضية الشعب الفلسطيني، وتجاهل موقع الأمة من قضية الشعب الفلسطيني، كما تجاهل ارتباط الشعب الفلسطيني بالأمّة، وكان هذا توجهاً جديداً في مجال القضية الفلسطينية، وجاءت ظروف عربية ساعدت ياسر عرفات على ترسيخ هذا التوجّه في العالم العربي، فبعد حرب 1967م واحتلال اسرائيل لسيناء والضفّة الغربية والجولان، ووضوح الطريق المسدود الذي انتهى إليه المشروع القومي العربي، أفسح جمال عبد الناصر رائد القومية العربية آنذاك لياسر عرفات بأن يتسلّم رئاسة منظمة التحرير بعد معركة الكرامة عام 1968م، وأفسح بالتالي لمقولات ياسر عرفات وفتح بأن تترسّخ في الواقع العربي.

واستحدث ياسر عرفات في مجال القضية الفلسطينية أمراً آخر هو التوجّه إلى مقاتلة اليهود دون أيّ برنامج مرافق لاصلاح أوضاع الأمّة، أو قل بصورة أخرى دون تبنّي منهجية شاملة للتعامل مع أوضاع الأمّة، وكان هذا الطرح مخالفاً لما كان سائداً لدى القيادات الواعية والعالمة والمثقّفة من أبناء الأمّة، والتي كانت ترى أنّ قضية فلسطين مرتبطة بأوضاع الأمّة، وكانت ترى بأنّ نكبة فلسطين وقعت نتيجة التأخّر والضعف الذي انتاب

الأمّة لذلك لابدّ من أن يكون التوجّه القتالي مرتبطاً بإصلاح الضعف على مستوى الفرد والمجتمع، وهذا يعني عدم تبنّي فتح أيّ برنامج لحلّ القضايا الداخلية في أوضاع الأمّة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية والتربوية إلخ...، أو بصورة أدقّ وقفت فتح موقف المتفرّج أمام كل الطروحات الفكرية التي كانت تعجّ بها ساحة العمل السياسي العربي في الستينات من طرح إسلامي وقومي وماركسي وليبرالي إلخ...

أفرز هذا التوجّه الجديد من ياسر عرفات في مجال القضية الفلسطينية ثلاثة أمور:

الأول: أنّ فتح اشترطت على منتسبيها التخلّي عن عقائدهم وايديولوجياتهم وأفكارهم، وخلعها قبل دخول فتح، لذلك أصبحت تجد في الصف القيادي الأول من حركة فتح أشخاصاً كانوا إسلاميين أو قوميين أو اشتراكيين إلخ...

الثاني: أنّ فتح بنت تنظيمها على عامل واحد هو الإعداد للمواجهة مع العدو الاسرائيلي دون إعطاء القيمة لأيّة عوامل أخرى تبني الفرد والأمّة كالعوامل العقائدية والنفسية والخُلُقية والاجتماعية إلخ...

الثالث: أن فتح أقامت علاقاتها مع الدول العربية بناء على المساعدة في بناء تنظيمها دون النظر إلى العوامل المنهجية والايديولوجية التي تقوم عليها تلك الدول ومدى صوابها وخطئها، ودون النظر إلى ممارساتها ومدى تأثيرها في مسيرة الأمّة باتجاه السلامة والنجاح.

الفصل الثاني

غياب الإسلاميين عن العمل الفدائي في الستينات وسبب ذلك

لقد كان دور العلماء والمشايخ والحركات والجماعات الإسلامية بارزاً في مجاهدة المستعمِرين في الفترة المعاصرة، وقد كان دورهم أكثر بروزاً في القضية الفلسطينة منذ سقوط الخلافة، ومنذ الانتداب البريطاني على فلسطين من خلال رجلين، هما:

الأول: الشيخ عز الدين القسّام الذي حرّك جماهير فلسطين لمقاومة الإنجليز ولمقاومة الصهاينة من خلال اعتلائه منبر جامع الاستقلال في حيفا إلى حين استشهاده في أحراج بعبد في عام 1935م.

الثاني: الحاج أمين الحسيني الذي لعب دوراً آخر أكثر اتساعاً في المكان والزمان من خلال ثلاثة مواقع دينية: أولها: كونه مفتياً لفلسطين. ثانيها: عمامته التي تميّز بها عن زعماء العالم العربي والتي توضّح أنه عالم دين. ثالثها: المؤتمر الإسلامي الذي عقده في مرحلة مبكّرة من تاريخ القضية

الفلسطينية في عشرينات القرن الماضي والذي دعا إليه شخصيّات إسلامية من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

ومن الجليّ أن السبب في دور الإسلاميّين الكبير في مقاومة الاستعمار الصهيوني هو بروز حكم الجهاد في تشريعات الإسلام وآياته، وفي ثناء آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ على المجاهدين، وتأكيد عظيم مثوبتهم إلخ...

واستمرّ هذا الدور البارز للإسلاميّين في القضية الفلسطينية بعد الحرب العالمية الثانية، فساهم الإسلاميّون مع مختلف الفئات الشعبية التي دخلت فلسطين لمقاتلة اليهود، فدخل الإخوان المسلمون من مصر وسورية، وخاضت كتائبهم القتال في القدس وفي جنوب فلسطين، وأبلوا بلاء حسناً، وتحدّثت عن هذا القتال وأرّخت له كتب متعدّدة.

ومع كل هذا الدور البارز للإسلاميّين في القضية الفلسطينية منذ مطلع القرن، نجد غياباً شبه كامل لدورهم منذ الخمسينات من القرن الماضي إلى نهاية الثمانيات تقريباً، ونلحظ أيضاً غيابهم عن نشأة العمل الفدائي في الستينات، فما السبب في ذلك؟

قد يعلّل بعضهم هذا الغياب للإخوان في الخمسينات والستينات بملاحقة جمال عبد الناصر، وحيلولته دون قيامهم بأي دور، لكن هذا لا يكفي لتعليل هذا الغياب، والمراجعة الفاحصة لتلك الفترة تبيّن أن هناك عوامل أخرى أبرزها قيادة حسن الهضيبي للعمل الإسلامي في مطلع الخمسينات، ورفضه لأي عمل عسكري، فقد صرّح إثر تعيينه مرشداً للإخوان المسلمين قائلاً: "لا إرهاب في الدين ولا سرية في الدعوة". وجاء هذا التصريح تعليقاً على رفضه لوجود الجهاز السريّ في الإخوان وتكليفه لأحد الإخوان المسلمين بأن يضع البرامج التي تلغي الجهاز السريّ وتدمجه في الجسم العام للجماعة، لذلك عندما نشب العمل الفدائي ضدّ الإنجليز عام 1952م، اعتبر أن كل أخ حرّ بأن يعبّر عن وطنيّته بالصورة التي يريدها، لكن الذي يعبّر عن الإخوان المسلمين ورأيهم هو القيادة الرسمية لهؤلاء الإخوان، وهي ليست ملزمة وليست مسؤولة عن تصرفات أولئك الإخوان الذين يمارسون القتال بصورتهم الفردية. ولما كان هذا موقفاً غريباً من حركة إسلامية ناهيك عن حركة إسلامية بنت جانباً من أمجادها على الجهاد في فلسطين وعلى مجاهدة الإنجليز، وشكّل مؤسّسها حسن البنّا جهازاً خاصاً سمّاه "الجهاز السريّ" ليقوم بمهمة الجهاد ضدّ الإنجليز واليهود.

لقد كان هذا الموقف من حسن الهضيبي تغييراً في استراتيجية الجماعة من الجهاد المادي، وكانت له آثاره المفاجئة: القريبة والبعيدة، أما النتائج القريبة فتمثّلت في استقطاب ياسر عرفات لكثير من الكوادر الإخوانية وانتقالها إلى حركة فتح بسبب تطلّع هذه الكوادر إلى تحقيق فرضية الجهاد ضدّ الصهاينة، وتلبية حركة فتح لهذا التطلّع، ووقوف قيادة الإخوان في وجه هذه التطلّعات وعدم تلبيتها لها، ومن أبرز هذه الكوادر التي استقطبها ياسر عرفات: خليل الوزير، صلاح خلف، سليم الزعنون، رياض الآغا، محمد يوسف النجار إلخ... وقد تم هذا الاستقطاب عندما كان ياسر عرفات متعاوناً مع الإخوان المسلمين في تشكيل اتحاد طلاب فلسطين في القاهرة عام 1954م وما بعدها.

لذلك عندما انطلق العمل الفدائي في عام 1965م لم يكن للحركة الإسلامية أي دور فيه، واستمر هذا الغياب إلى الثمانينات من القرن الماضي، ولم يبرز أي دور للحركة الإسلامية في العمل الفدائي في الأردن بعد نكسة حزيران عام 1967م، وإنما قام دور متواضع للإخوان في معسكر الشيوخ الذي قاده الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله- بغطاء من حركة فتح، لكنه أُغلق بعد القتال الذي وقع في أيلول من عام 1970م بين السلطة الأردنية والعمل الفدائي، وانفضّ

المقاتلون، ولم يشتركوا في القتال الدائر بين الفدائيّين والسلطة الأردنية على اعتبار أنه قتال فتنة داخلية.

وقد نما هذا العداء للعمل الفدائي/الجهادي في صفوف الإسلاميّين وتبلور على يد عبد الله أبو عزّه أبرز القياديّين لجناح فلسطين، الذي أصّل له وكتب دراسات متعدّدة حوله واعتبر أن أي قتال لاسرائيل عبث لا طائل تحته وأن الدولة الإسلامية القادمة هي التي تستطيع أن تقارع دولة اسرائيل، وأنه واجب الدولة وليس واجب الأفراد والجماعات، لذلك عندما اجتمع التنظيم العالمي للإخوان المسلمين في الأردن بعد النكسة من أجل أن يتخذ موقفاً من العمل الفدائي في الأردن لم يستطع أن يتخذ أي موقف بسبب التناقض الحادّ بين وجهات نظر المتحاورين وانفضّ دون التوصّل إلى أي قرار.

والآن: ما تقويمنا للتغيير الذي أحدثه المرشد العام للإخوان المسلمين حسن الهضيبي في برنامج الحركة الإسلامية؟ لاشكّ أنّ هذا التغيير المستحدث ليس توجّهاً صحيحاً لأنه ليس مبنيّاً على تحليل صحيح، فالتحليل الصحيح يعتبر أنّ الحركات الإسلامية تعبير عن الأمّة الإسلامية في وجودها ونشاطها، ولما كانت الحركة الصهيونية تستهدف الأمّة الإسلامية بكل مقوّماتها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية بعد أن

استهدفت الدولة الإسلامية بالإسقاط من خلال إسقاط الخلافة، كان الواجب على الجماعت الإسلامية أن تتحرّك لمجاهدة الصهيونية لأنها ممثّلة للأمّة، وبخاصة إنّ أطماع الصهيونية لا تقف عند حدود فلسطين بل تتعدّاها، لذلك عندما تتصدّى الحركات الإسلامية لاسرائيل وتجاهدها سواء داخل فلسطين أو خارجها إنما تعبّر عن الأمّة في مواجهتها لهذا الخطر الصهيوني، وهذا ما يجب عليها وهو ما غفل عنه الهضيبي فوقع في هذا الخطأ الجسيم.

أمّا ربط عبد الله أبو عزّه بين قتال اسرائيل والدولة الإسلامية فهو كلام مبتور لأنّ الأمّة مطالبة بمقاتلة المعتدين بقيادة العلماء في حال تقصير الدولة أو عجزها عن القيام بهذا الواجب أو غيابها، كما نصّ على ذلك المفتون والعلماء والفقهاء. ولما كانت الجماعت الإسلامية ممثّلة للأمّة فإنّ عبء جهاد اليهود المعتدين وغيرهم يقع عليها ريثما تقوم الدولة، وليس جهاد المعتدين مرتبطاً بوجود الدولة، بل جهادهم مرتبط بالدولة في حال وجودها، وبالأمّة في غيابها، هذا الفقه السليم الذي غاب عن عبد الله أبو عزّة وغيره ممن ربطوا جهاد المعتدين بالدولة وغفلوا عن الأمّة ودورها.

الفصل الثالث

دور الإسلاميين في الانتفاضة

رأينا في الفصل السابق غياب الإسلاميين عن ساحة العمل الفدائي الفلسطيني في الستينات، ورأينا أسباب ذلك، لكن الوضع اختلف بعد ذلك منذ أشعل الإسلاميون انتفاضة جماهيرية في مواجهة المحتل الصهيوني في نهاية الثمانينات، مثّلت منعطفاً في مسار القضية الفلسطينية، وجعلت الإسلاميّين طرفاً رئيسياً في الصراع مع العدو الصهيوني، فما العوامل التي كانت وراء ذلك؟

العامل الأول: الصحوة الإسلامية:

شهدت المنطقة العربية والعالم الإسلامي بشكل عام صحوة إسلامية في السبعينات، وكانت هذه الصحوة حصيلة الانهزام في الفكر القومي العربي والذي تمثّل في هزيمة عام 1967، وانكفاء المدّ القومي واليساري، ومما ساعد على بروز الصحوة الإسلامية قيام الثورة الإيرانية في عام 1979م، وقد انعكست هذه الصحوة على إسلاميي فلسطين، فعلا

صوتهم، وأقبل الناس عليهم حيث ازداد عدد مرتادي المساجد، وازداد عدد النساء المرتديات للحجاب.

العامل الثاني: قيام بعض الجمعيات والمؤسسات والمشاريع المرتبطة بالحركة الإسلامية في الضفة والقطاع:

انعكست الطفرة المالية في الخليج والسعودية والتي ارتبطت بارتفاع أسعار النفط في عام 1973م على القطاع والضفة، فقامت مشاريع اجتماعية وخيرية وصحية وتعليمية واقتصادية بتمويل من جمعيات وشخصيات من الخليج والسعودية، وقد استفادت الحركة الإسلامية في القطاع والضفة من هذه الجمعيات والمؤسسات والمشاريع بربط الناس بها عن طريق الجامعات أو المدارس أو المعونات الاقتصادية، أو الصحية إلخ...

العامل الثالث: تراجع العمل الفدائي الفلسطيني:

عندما انطلقت الانتفاضة في كانون الأول (ديسمبر) عام 1987م كان الكفاح المسلّح الفلسطيني في ذروة انحساره حيث بدأت فتح في عام 1965م، ثم بلغ ذروته بعد نكسة عام 1967م، ثم خرج من الأردن بعد أيلول عام 1970، ثم تحوّل العمل الفدائي إلى لبنان لكنه خرج منها

في عام 1982م إثر الاجتياح الاسرائيلي للجنوب اللبناني عام 1982م ومحاصرته للعاصمة اللبنانية بيروت، وانتقلت قيادة منظمة التحرير إلى تونس وتشتت الجسم الفدائي بين تونس والجزائر واليمن ودمشق وشمال لبنان وليبيا إلخ... وضعف الاهتمام العربي بالقضية الفلسطينية بعد اشتعال الحرب العراقية الإيرانية في عام 1980م، ولم تعد قضية العرب الأولى، لذلك حظيت الحرب العراقية الإيرانية بالاهتمام الأول في القمة العربية التي انعقدت في خريف 1987م في عمان قبل أيام من اندلاع الانتفاضة.

إن تراجع الكفاح المسلّح الفلسطيني الذي قادته منظمة التحرير على مدى عقود من جهة، وضعف الاهتمام العربي بالقضية الفلسطينية من جهة ثانية، هما الذين دفعا الداخل الفسلطيني لأخذ الراية وفتح مواجهة جديدة مع العدو الصهيوني.

كيف بدأت الانتفاضة ؟

فرّ ستة أشخاص من جماعة الجهاد من سجن غزة في أيار/مايو 1987م، وقاموا بعدّة عمليات ضدّ جنود العدو الاسرائيلي، واستشهد أربعة منهم في صدام عسكري مع كمين اسرائيلي في تشرين الأول/اكتوبر

من السنة نفسها، وأطلق الجيش الاسرائيلي الرصاص على طلاّب الجامعة الإسلامية الذين أدّوا صلاة الغائب على أرواح الشهداء الأربعة ما أصاب العشرات منهم، مما رفع درجة التفاعل الجماهيري مع العمل المسلّح، وفي السادس من كانون أول/ديسمبر قتل أفراد الجهاد الإسلامي مستوطناً اسرائيلياً طعناً بالسكين في الميدان الرئيسي لمدينة غزة، وهاجت الأوساط الاسرائيلية بعد ذلك، فقامت شاحنة اسرائيلية بدهس عمّال فلسطينيّين أثناء عودتهم من أماكن عملهم، فاستشهد أربعة وجرح تسعة آخرون، وكان ذلك في 8 كانون الأول (ديسمبر) 1987م، وكان ثلاثة من الشهداء الأربعة من منطقة جباليا، فبدأت التظاهرات في جباليا ثم انتقلت إلى الأماكن الأخرى، وكانت تلك هي بداية الانتفاضة.

استمرّت التحرّكات الشعبية في مقاومة الاحتلال، وتمثّلت في التظاهر والإضراب ورمي الجنود الاسرائيليين بالحجارة إلخ...، وشاركت في هذه المقاومة كل الفعاليّات الشعبية والمنظّمات الفلسطينية المرتبطة بمنظمة التحرير كفتح والجبهة الشعبية والجبهة الديقراطية، لكنّ حركتي حماس والجهاد كانتا الحركتين الجديدتين على الساحة الفلسطينية المقاومة، وكانتا الأبرز، كذلك كانت هناك منافسة حامية بين التيار الإسلامي وفتح على

قيادة الساحة الفلسطينية من جهة، وكانت هناك منافسة خفية بين حماس والجهاد على قيادة الساحة الإسلامية، واستمرّت الانتفاضة إلى عام 1993م عندما وقّع ياسر عرفات اتفاق أوسلو في ساحة البيت الأبيض في ايلول (سبتمبر) 1993م، وبعد أن استقرّت السلطة الفلسطينية في غزّة والقطاع بعد عام 1994م بقيادة ياسر عرفات، وقعت عدّة تصادمات بين الإسلاميين والسلطة، واعتقلت السلطة بعض الإسلاميين من حركتي حماس والجهاد وأصدرت الأحكام بحقّهم وسجنتهم، وقد أصرّت حركتي حماس والجهاد على عدم الاقتتال مع السلطة، لذلك كانت تواجه تضييق السلطة باستمرار في العمليات ضدّ اسرائيل، واستمرّت العلاقة متوتّرة بين السلطة وحركتي حماس والجهاد إلى أن اندلعت الانتفاضة الثانية في سبتمبر 2000م، وفعاد التعاون حركتي حماس وجهاد والفصائل الفلسطينية الأخرى، لكنّ السؤال الذي يطرح نفسه: هل يمكن لجهاد شعب فلسطين أن يحرّر فلسطين؟ لاشكّ أنّ الجواب بالنفي هو الجواب الصحيح، فاسرائيل دولة قامت بعد أن هدمت كيان الدولة الإسلامية المتمثّل في الخلافة الإسلامية في استانبول، ولا يمكن أن تتحرّر فلسطين إلا بجهاد شعب ودولة، وقد شكّل جهاد شعب فلسطين العامل الأول في هذا الجهاد، وبقي هذا الجهاد بحاجة إلى العامل الثاني وهو الدولة التي

تتبنّاه وتسنده، فطالما أنه ليس هناك دولة فستبقى الثمرة محدودة، ولا أقول بحال من الأحوال بعدم جهاد شعب فلسطين، بل أقول باستمرار هذا الجهاد في كل الأحوال بسبب ضرورته للأمّة وفوائده لها، وإسقاطه الإثم عنها، ولكن يجب أن نعي بأنّ التحرير لا يأتي إلا من خلال التكامل مع عامل آخر وهو الدولة التي ترعى هذا الجهاد وتنمّيه وتتحمّل تبعاته، فهناك جناحان للتحرير لا يتحقّق إلا بهما وهما: جهاد الشعب الفلسطيني من جهة، والدولة التي ترعى هذا الجهاد من جهة ثانية، ولما كانت الدولة الإسلامية التي ترعى هذا الجهاد غير قائمة وغير متحقّقة الآن، فيجب على المسلمين في الأرض أن يقيموها من أجل أن ترعى شؤون الجهاد في فلسطين وتعدّ الأمّة كلها لهذا الجهاد، وتستفيد من كل الطاقات الموجودة وتجبر النقص الموجود في الأمّة، وكما أنّ التحرير لا يتحقّق إلا من خلال تكامل عاملين هما: جهاد الشعب الفلسطيني والدولة الإسلامية، كذلك يجب أن نعلم أنّ الدولة لا تقوم إلا من تكامل عاملين، هما: وجود حركة شعبية إسلامية في كل الأرض الإسلامية من جهة، ومرتبطة بجهاد الشعب الفلسطيني من جهة ثانية، وإنني أرى أنّ الفرصة متاحة لقيام مثل هذه الحركة المعبّرة عن الأمّة والمرتبطة بالأمّة، وبخاصة بعد أن وصلت المسيرة التي

قادها ياسر عرفات مخالفة لهذا التوجّه إلى طريق مسدود بعد توقيعها اتفاق أوسلو، وهي النتيجة المتوقّعة لها.

ألقينا الضوء في الباب الثالث على الأحداث العربية التي أثّرت في القضية الفلسطينية كالنكبة والنكسة وحرب تشرين، ثم تحدّثنا في الباب الرابع عن التطوّرات التي حدثت على الصعيد الداخلي للقضية الفلسطينية ومن أبرزها إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية وقيام الانتفاضتين: الأولى عام 1987م، والثانية عام 2000م، والآن نعود للحديث عن آخر الأوضاع العربية، ثم عن آخر أوضاع القضية الفلسطينية فتجد أنّ هناك ترابطاً طبيعياً بينهما، فما آخر التطوّرات على الصعيد العربي؟

انتهت الحرب الباردة بين العملاقين الأمريكي والروسي بسقوط جدار برلين، ثم تفكّك الاتحاد السوفييتي، ثم حدث الغزو العراقي للكويت في صيف عام 1990م، وأخرجت القوّات الأمريكية صدّام حسين في فبراير من عام 1991م، ثم انعقد مؤتمر للسلام في مدريد من خريف عام 1991م حضرته سورية والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل برعاية أمريكا وروسيا، ثم عقد ياسر عرفات محادثات سرية مع اسرائيل

انتهت باتفاق أوسلو الذي وقّع في في 1993/9/13م مع اسحاق رابين في حديقة البيت الأبيض.

أما على المستوى العربي فاستمرّ الغرب محاصراً العراق، ثم قامت القاعدة في 11 سبتمبر 2001م بتفجير أربع طائرات في سماء نيويورك وواشنطن أسفرت عن تحطيم برجي التجارة العالميين في نيويورك، وعن تحطيم جانب من وزارة الدفاع (البنتاغون)، واعتبرت أمريكا هذا الهجوم جرحاً لكرامتها، وردّت عليه بإسقاط نظام طالبان واحتلال أفغانستان في أكتوبر من عام 2001م، ثم احتلال العراق عام 2003م.

وإنّ المتفحّص لأوضاع أمريكا يجد أنّ هجوم القاعدة على نيويورك وواشنطن كان هو الذريعة المناسبة والتي كانت تنتظرها أمريكا لأجل ترسيخ قواعد النظام العالمي الجديد، والذي بدأت تظهر ملامحه بعد سقوط الاتحاد وانتهاء الحرب، والذي يتمثّل في الامبراطورية الأمريكية، فما قاعدة هذه الامبراطورية؟ وما أهدافها؟ هذا ما سنجد جوابه في السطور التالية.

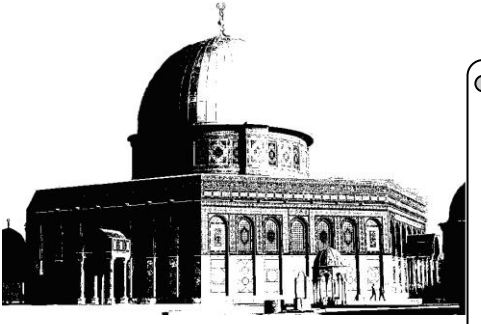

الباب الخامس

الأمة
بين
الامبراطورية
الأمريكية
واسرائيل
الكبرى

الفصل الأول

الامبراطورية الأمريكية: قيادتها، أهدافها، كيفية مواجهتها

بدأت ملامح التكوين الامبراطوري لأمريكا تتوضّح بعد أن استهدفت العراق في عدوانها، وبعد أن أعلن بوش أنّ العراق دولة من محور الشر الذي يشمل العراق وايران وكوريا الشمالية، وكان التحالف الأمريكي-البريطاني شرع في عدوانه على العراق في 20 من مارس/آذار 2003م وسقطت بغداد في 9 من ابريل/نيسان 2003م، وقد ادعى التحالف أنه شن عدوانه على العراق بشكل رئيسي من أجل إلغاء وتعطيل مفعول أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها، وادعى كذلك أنه جاء من أجل تحرير العراق وإزالة الديكتاتورية، وأنه جاء من أجل إبعاد خطره عن جيرانه إلخ... لكن المؤكد أنه ليست الأسباب المذكورة سابقاً هي الأسباب الحقيقية للعدوان على العراق، فأمريكا تعرف قبل غيرها أن النظام العراقي ليس الديكتاتورية الوحيدة في المنطقة، وأنه لم يعد يشكل خطراً على أحد إلخ... فطالما أن الأسباب المعلنة ليست الأسباب الحقيقية للعدوان، فمن الجهات التي تقف وراء العدوان؟ وما الأسباب الحقيقية له؟

الجهات التي تقف وراء العدوان تتكون من ثلاثة أطراف:

1- المحافظون الجدد:

وهو تيار تشكل بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، ويضمّ ديك تشيني نائب رئيس الولايات المتحدة، ودونالد رامسفيلد وزير الدفاع، وكونداليزا رايس مستشارة الدفاع إلخ... وقد طرح هذا الفريق رؤاه منذ عام 1997م ودعا إلى جعل القرن الحادي والعشرين قرناً أمريكياً كما كان القرن العشرين أمريكياً، والقرن التاسع عشر انكليزياً، والقرن الثامن عشر فرنسياً، ويتم ذلك بإبقاء الولايات المتحدة متفوقة على جميع دول العالم: تكنولوجياً وعسكرياً، وهي قد طبقت ذلك من خلال زيادة الإنفاق السكري، فميزانية الجيش الأمريكي الآن في الولايات المتحدة توازي ميرانية الجيوش التسعة التي تلي الجيش الأمريكي، وستكون ميزانيته في عام 2005م توازي ميزانية جيوش جميع دول العالم.

2- اللوبي الصهيوني في دوائر القرار الأمريكي:

أدركت المؤسسات الصهيونية العالمية ضعف انكلترا بعد الحرب العالمية الثانية، وانتقالها من مقدمة الدول العالمية إلى الصف الثاني،

وأدركت أن الولايات المتحدة ستصبح الدولة الأولى في العالم، لذلك نقلت مركز ثقلها من لندن إلى نيويورك وواشنطن، وضغطت من خلال اللوبي الصهيوني على كل الرؤساء الأمريكيين، وقد بلغ النفوذ الصهيوني الآن ذروته، والذي يتضح في دعم بوش الابن لشارون، ومن أبرز القيادات الفاعلة المكوّنة للوبي الصهيوني: نائب وزير الدفاع بول ولوفوفيتيز، وعضو المجلس الاستشاري للدفاع في البنتاغون ريتشارد بيرل، ومدير شؤون الأوسط في مجلس الأمن القومي إليوت أبرامز إلخ...

3- التيار المسيحي الصهيوني:

نشأ المذهب البروتستنتي في القرون الوسطى، وربط بين الانجيل والتوراة، وقد ولّد هذا الربط اقتناع المسيحيين البروتستنيين بكثير من الدعاوي اليهودية، وولّد عندهم حماساً لاسرائيل أكثر من الصهاينة أنفسهم، وقد نشأ بوش الابن في أحضان هذا التيار الذي أنقذه من عادة إدمان الكحول، والخلاصة إن هذا التيار موجود على مستوى الشعب وعلى مستوى الإدارة، ويعتبر رجل الدين البروتستنتي بات روبرتسون أبرز ممثليه، فهو على علاقة لصيقة ببوش الأب وبوش الأبن.

أما عن الأسباب الحقيقية للعدوان الأمريكي-البريطاني على العراق فيمكن أن نذكر منها الأسباب التالية:

1- فرض التغريب على الأمة:

غزت أوروبا العالم العربي في القرن التاسع عشر، واستكملت استعمار معظم أقطاره وبلدانه في القرن العشرين بعد الحرب العالمية الأولى، وقصدت تغريب أمتنا من خلال فرض الحضارة الغربية عليها، فأسقطت الخلافة، وغيرت التشريعات فأحلت القوانين الوضعية محل الشرائع الإسلامية، وفرضت الاقتصاد الرأسمالي الذي يقوم على الربا، وربطته بالاقتصاد الأوروبي، وحجّمت التعليم الديني ووسّعت التعليم المدني، ونصّبت حكومات تدعو إلى الايديولوجيا القومية لتكون بديلاً عن الرابطة الإسلامية، وجهر أتباعها من أمثال طه حسين وسلامة موسى وأحمد لطفي السيد وحسين فوزي بضرورة اتباع الحضارة الغربية بشكل حرفي، كما شكّكوا في كل قيمنا وأخلاقنا وعاداتنا وتقاليدنا وثوابتنا، فشكّكوا بصلاحية الإسلام للحكم، وشكّكوا بإلهية القرآن الكريم، وشكّكوا بعلومنا الإسلامية كالفقه وغيره، وشكّكوا في السنّة، وشكّكوا بقدرة اللغة العربية في مواءمة التطورات العلمية ودعوا إلى إحلال العامية مكانها تسهيلاً على الناس وخدمة للثقافة العامة!!!.

ثم جاءت المرحلة الاشتراكية وكان الموقف من الدين الإسلامي أشد عنفاً، فحاولت القيادات القومية الاشتراكية استئصال الدين الإسلامي من حياة المجتمع، واعتبرت الإسلام سبب التأخر، وأنه أفيون الشعوب إلخ... ولاشك أن المقام لا يتسع لعرض جهود أوروبا في فرض نموذجها الحضاري على أمتنا حيث أثار ذلك معارك ضارية في مجالات كثيرة ومتعددة، وكانت النتيجة أن أمتنا أفشلت التغريب، ودلّت على ذلك الصحوة الإسلامية التي انطلقت في سبعينات القرن الماضي، وهذا ما جعل أمريكا التي قادت الحضارة الغربية بعد الحرب العالمية الثانية إلى اعتبار الإسلام العدو الأول الذي يجب أن يُطوّع بعد سقوط الاتحاد السوفييتي في عام 1989م، ولذلك فإن الهدف الحقيقي من احتلال العراق هو فرض التغريب على الأمة، واستكمال المهمة التي فشلت أوروبا في تحقيقها خلال قرن ونصف، وكالعادة فإن مثل هذا الهدف وضعت له عناوين برّاقة من مثل نشر الديمقراطية، وإشاعة مناخ الحرية، وإزالة الديكتاتورية، وإيجاد اقتصاد حر إلخ... وقد كانت تلك العناوين واضحة في "مبادرة الشراكة الشرق أوسطية من أجل الديمقراطية" التي أعلنها كولن باول في 2002/12/12م.

2- وضع اليد على البترول العراقي:

يشكل البترول سلعة رئيسية لتشغيل جميع المرافق الاقتصادية، بدءاً من السيارة، ومروراً بالمصنع، وانتهاء بالصاروخ، وقد أشارت الإحصاءات إلى أن أمريكا تستهلك منه في كل يوم (20) مليون برميل، تستورد 60٪ من هذه الكمية من بترول الشرق الأوسط، ومن المتوقع أن تزداد كمية الاستهلاك اليومي مع مرور الوقت، وبما أن الاحتياط الأمريكي من البترول هو (20) بليون برميل فقط لا يكفي لتغطية حاجات القرن الحادي والعشرين كله، فلابد من الاستيلاء على العراق التي تملك ثاني أكبر احتياط بترول في العالم وهو (112.5) بليون برميل في أقل التقديرات، ويمكن أن يصل (225) بليون أو أكثر من (300) بليون برميل في بعض التقديرات الأخرى، وتبرز أهمية الاستيلاء على نفط العراق في ضوء عدم اكتشاف العالم بديلاً مجدياً عن النفط حتى الآن مع كل النفقات التي صرفت خلال القرن الماضي على مثل تلك التجارب والأبحاث.

3- تمكين اسرائيل:

تهدف أمريكا من احتلال العراق إلى إزاحة إحدى القوى الرئيسية من مواجهة اسرائيل، وتهدف إلى تمكين اسرائيل لتصبح سيدة المنطقة، ولتفرض الاستسلام على العرب بالشروط التي تريدها، وها قد تحقق لها ما

تريد، و"خارطة الطريق" أول الغيث الذي سيشطب المقاومة ويلغي السلاح، ويفتح الباب عريضاً للاقتتال الفلسطيني، كما أن اسرائيل ستكون أول المستفيدين من احتلال العراق فستستفيد من البترول العراقي الذي سيصل إليها من خلال إحياء خط البترول: كركوك-حيفا الذي كان يزوّد فلسطين بالبترول، ثم توقّف بعد قيام اسرائيل عام 1948م. وستستفيد اسرائيل من المياه العراقية، فمن المتوقع تزويدها بالمياه عن طريق أنبوب يمتد من الفرات ودجلة إلى صحراء النقب، وذلك لأن العراق يعتبر ثاني أغنى دولة في الشرق الأوسط بالمياه بعد تركيا. وستستفيد اسرائيل من قلة السكان في العراق مع اتساع الأرض الزراعية، فمن المتوقع أن تقوم بتهجير فلسطينيي الضفة الغربية وغزة واسرائيل إليها من أجل التخلص من القنبلة السكانية الفلسطينية التي تهدد اسرائيل من جهة، ومن أجل الاستيلاء على مزيد من الأرض الفلسطينية من جهة ثانية.

لاشك بأن التحرك الأمريكي السابق، والأهداف التي رسمتها يعتبر من أكبر التحديات وأخطرها على أمتنا في تاريخها كله، وهذا يستدعي أعلى درجات المقاومة الواعية من قيادات أمتنا ومفكريها ودعاتها وجماعاتها وأحزابها لإفشال مخطط التغريب الثاني، كما أفشلت الأول خلال القرن العشرين، لذلك يجب البناء على الإيجابيات التي حصلتها أمتنا خلال

الصراع مع دعاة التغريب، ومعالجة السلبيات وعوامل الضعف في كيان الأمة.

ليس الهدف من العدوان على العراق هو النهب الاقتصادي وتدعيم وضع اسرائيل فحسب، -كما رأينا من خلال عرضنا لأهداف العدوان- بل هناك هدف رئيسي هو تغريب أمّتنا، وتتجسّد محاولة التغريب بمشاريع أبرزها "مشروع الشرق الأوسط الكبير" فما ملامح هذا المشروع؟ وما مضمونه؟ وكيف يمكن أن نواجهه؟

الفصل الثاني

مشروع الشرق الأوسط الكبير

طرحت الولايات المتحدة الأمريكية على مجموعة الدول الصناعية الثماني مشروعاً لمناقشته في اجتماعهم القادم في حزيران 2004م تحت اسم "مشروع الشرق الأوسط الكبير" وقد حدّد المشروع منطقة الشرق الأوسط الكبير بأنها الدول العربية مضافاً إليها: تركيا وإيران وأفغانستان وباكستان، وقد شخّص المشروع نواقص المنطقة بأنها الحرية، وتدنّي مستوى المعرفة، وتمكين المرأة، لذلك اقترح المشروع أوّليّات للإصلاح تعالج النواقص التي حدّدها تقرير الأمم المتحدة حول التنمية الإنسانية العربية عبر: تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح، وبناء مجتمع معرفي، وتوسيع الفرص الاقتصادية. ثم تحدّث المشروع عن مساعدات يمكن أن تقدّمها مجموعة الثماني لترسيخ الحرية والديمقراطية وبناء المجتمع المعرفي وتحقيق التنمية الاقتصادية. وبالفعل فقد انعقد مؤتمر الدول الصناعية الكبرى الثماني في جزيرة أيسلان في جورجيا في 2004/6/8م، وقد حضره بعض رؤساء الدول العربية من الجزائر واليمن والبحرين والعراق، كما حضره بعض رؤساء الدول الإسلامية من تركيا وأفغانستان، وقد ناقش

المؤتمر المشروع الأمريكي وأقرّ معظم توجهاته وشكّل اللجان المناسبة لتنفيذ تلك التوجّهات، كما حدّد الآليّات المطلوبة، كما رصد الأموال التي يحتاجها المشروع وأزمان وأماكن إنفاقها.

لا أريد أن أتوقّف كثيراً عند قضية مدى جدّية أمريكا وصدقها في تطبيق الديمقراطية، مع أن كثيراً من الدلائل تشير إلى ضعف مصداقيّتها في هذا التوجّه، لكني سأتجاوز هذه القضية وأعتبر أن مصالحها الآن تتطلّب إرساء القيم الديمقراطية في عالمنا العربي والإسلامي، فالسؤال الآن: هل الديمقراطية أمر جديد علينا؟ الجواب: لا، بل التاريخ يقول: نادى عدد من المصلحين العرب بالديمقراطية منذ القرن التاسع عشر، وشرعت أقطار متعدّدة في تطبيقها منذ القرن التاسع عشر كالسلطة العثمانية وتونس في عهد خير الدين التونسي ومصر في عهد الخديوي اسماعيل، ثم جاء التطبيق الأوسع بعد الحرب العالمية الأولى إذ شمل مصر والعراق وسورية والأردن والمغرب ولبنان إلخ...، وقامت تجارب غنية وواسعة لكنّها تعثّرت ولم يكتب لها الاستمرار والنجاح.

وإذا أردنا أن ينجح أي تطبيق جديد للديمقراطية علينا أن نعرف السبب في فشل الديمقراطية في السابق لكي نتجنّبه في المرحلة القادمة، ولكي نعرف السبب في فشل تطبيق الديمقراطية في القرن التاسع والقرن

العشرين علينا أن نحلّل الديمقراطية، ونرى العناصر التي تكوّن محتواها، فنجد أنها تنقسم إلى فلسفة وآليّات، الفلسفة: تعتبر الحقيقة نسبيّة، وتؤكّد أنه ليس هناك حقيقة مطلقة، وهذه المقولة جاءت نتيجة ظروف تاريخية خاصة بالغرب، وتطوّر معيّن لحياته الاجتماعية والسياسية والعلمية إلخ...، وآليّات: من مثل وجود دستور، وإقرار مبدأ الانتخاب، والمحاسبة للمسؤولين، ومبدأ تداول السلطة، واحترام رأي الأقلّية، ووجود أحزاب، وإقرار مبدأ حرية الصحافة إلخ... لاشك أن فلسفة الديمقراطية التي تعتبر الحقيقة نسبية تصطدم مع كثير من ثوابت الدين الإسلامي وحقائقه، لكن الآليّات تعتبر مقبولة ولا تصطدم مع شيء من حقائقه ومبادئه، لذلك لم أجد فيما اطلعت عالماً أو تكتّلاً أو حزباً رفض الديمقراطية بهذا المعنى بدءاً من شيخ الإسلام في الآستانة الذي أقرّ خطي كلخانة والهمايوني الشريف عامي 1839م و 1867م، واللذين أقرّا بحقوق الإنسان وإيجاد دستور للبلاد ومبدأ الانتخاب وإيجاد مجلس المبعوثان، ومروراً بمحمد رشيد رضا، وانتهاء بالقيادات السياسية المعاصرة. إن عدم التمييز بين الفلسفة والآليّات هو العامل الرئيسي الذي أدّى إلى فشل تطبيق الديمقراطية عندنا في السابق، ومما يؤكّد ذلك أن نجاح التطبيق في بعض الدول كاسرائيل واليابان جاء بعد الاعتراف بهذا الفصل بين الفلسفة والآليّات.

أما اسرائيل فنجد أن لديها ديمقراطية مستقرّة كما أشار المشروع إلى ذلك في إحدى فقراته، وسبب ذلك أنها كيّفت نظامها الديمقراطي لكي يتماشى مع موروثاتها الدينية وعقائدها التوراتية، فقد اعترف عدد من زعماء الصهيونية بدءاً من تيودور هرتزل وانتهاء بدافيد بن غوريون، ومروراً بحاييم وايزمان بتزاوج الصهيونية واليهودية، فأعلن هرتزل في المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897م في بازل، فقال: "إن العودة إلى صهيون يجب أن تتبعها عودتنا إلى اليهودية" واعترف حاييم وايزمن أول رئيس لدولة اسرائيل بتلازم الصهيونية واليهودية فقال: "إن يهوديّتنا وصهيونيّتنا متلازمتان ولا يمكن تدمير الصهيونية دون تدمير اليهودية"، ووضّح دافيد بن غوريون أوّل رئيس للوزارة الاسرائيلية أهمية التوراة للصهيونية فقال: "إن الصهيونية تستمدّ وجودها وقوّتها من مصدرين: الأول: التوراة، الثاني: الثورات التي اجتاحت أوروبّا".

أما اليابان فنجد أن قياداتها لم تتنكّر للدين والموروثات التاريخية في كل مراحل نهضتها، بل أعطت الاعتبار الكامل للديانتين السائدتين وهما: الشنتو والبوذية، كما أعطت الاعتبار الكامل للامبراطور الذي هو من سلالة الآلة في رأيهم، واعتبرته رمزاً للأمّة اليابانية.

أما القيادات الفكرية العربية التي جاءت في مطلع القرن العشرين سواء في مصر أو بلاد الشام فإنها لم تعتبر الدين عاملاً في تكوين الأمّة، بل اعتبرت اللغة والتاريخ هما عاملا التكوين حسب المدرسة الألمانية، واعتبرت العامل الجغرافي هو عامل التكوين حسب المدرسة الفرنسية، لذلك عندما طبّقت الديمقراطية لم تميّز بين الفلسفة والآليّات وساوت بينهما في بعض الأحيان، بل قدّمت الفلسفة على الآليّات في أحيان أخرى. والسؤال –الآن– في زحمة المشاريع لإحياء التطبيق الديمقراطي: هل نستفيد من أخطائنا وتجاربنا السابقة؟ وكيف يمكن أن نواجه "مشروع الشرق الأوسط الكبير" والامبراطورية الأمريكية؟ يمكن أن نواجههما باتخاذ الخطوات التالية:

1- تأطير أفراد الأمة:

من الواضح أن جانباً كبيراً من عدم فاعلية جماهير المسلمين في التصدي لأعداء الأمة في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها من الأماكن يعود إلى عدم وجود أطر جماعية توحّد طاقة هؤلاء المسلمين، وتنظم جهودهم، وتستوعب استعدادهم للبذل والتضحية، وتعرفهم بأوليائهم وأعدائهم، وترشدهم في كل خطوات الطريق إلخ... ولو تفحصنا الأسباب التي أدت إلى غياب هذا التأطير الجماعي لأفراد المسلمين، وإلى ضعف

هذا الجانب الجماعي في حياتهم، لوجدنا أن أبرزها يعود إلى الاضطراب الفقهي في حكم الانتماء إلى جماعة، فبعض الفقهاء المعاصرين يحرمه، وبعضهم يبيحه بحسب الأحوال، وبعضهم يوجبه، وجاء الاضطراب من إسقاط الأحكام المترتبة على تحريم الخروج على جماعة المسلمين في حال وجود خليفة المسلمين وإمامهم على وقتنا الحاضر حيث سقطت الخلافة، مع أن الحكم الشرعي الأرجح هو وجوب الانتماء إلى جماعة شرعية وبخاصة في هذه الظروف الصعبة المحيطة بالمسلم والمملوءة بالمحن والفتن من كل نوع، لذلك لابدّ من إشاعة هذا المناخ الفقهي الذي يوجب العمل الجماعي على كل مسلم من أجل الانتقال بالمسلم من الفردية إلى الجماعية، حيث لا تستطيع الأمة مواجهة أعدائها، ولا حل مشاكلها، ولا بناء مستقبلها إلا من خلال بناء جماعي عريض يستوعب معظم أفراد الأمة إن لم يكن كلهم.

2- الانحياز إلى الأمة وثوابتها:

لاشك بأن المعركة القادمة مع دعاة التغريب ستكون من أخطر المعارك في حياة الأمة، لأنها تستهدف وجودها وشخصيتها وهويتها من

جهة، ولأنها تأتي والعدو في أقوى حالاته وأمتنا في أضعف حالاتها من جهة ثانية، لذلك يجب رفع سقف الواجب المطلوب من أبناء الأمة نحو أمتهم، لذلك يجب أن يصبح المطلوب منهم الانحياز إلى الأمة وثوابتها، وأبرز هذه الثوابت : القرآن الكريم، والسنة المشرفة، واللغة العربية، والوقوف إلى جانب حقنا المشروع في فلسطين من البحر إلى النهر، والإقرار بعداوة اسرائيل وأمريكا لهذه الأمة، واعتبار أن أي احتلال لأرض عربية كارثة إلخ... فلم يعد مقبولاً من أحد يدعي الانتماء إلى هذه الأمة فرداً أو جماعة أو حزباً، وينكر ثابتاً من الثوابت السابقة، أو يشكك فيه، أو يوالي عدواً للأمة، أو يتعاون معه، أو يستهزئ بالمقاومة والاستشهاد، أو يستبشر بالاحتلال إلخ... إن معركة الأمة الإسلامية مع أمريكا ودعاة التغريب لن تكون سياسية فحسب بل هي سياسية وشرعية، فالعدو لا يستهدف بترول المنطقة واقتصادها وخيراتها فحسب بل يستهدف أيضاً دينها وعقيدتها ونموذجها الحضاري إلخ... لذلك فالمطلوب من أبناء الأمة أن يربطوا بين الموقف السياسي والموقف الشرعي في الدفاع عن الأمة.

3- الحرص على الوضوح والدقة الشرعيين:

يزعم دعاة التغريب –الآن– أنهم لا يريدون استئصال الإسلام من حياة المجتمع كما فعل الشيوعيون ذلك في الستينات، ويزاودون على أبناء

الأمة في حرصهم على الإسلام، ويدعون أنهم يريدون إنقاذ الإسلام من أيدي علمائه التقليديين الذين أساءوا فهمه، لذلك لن تكون معركتنا القادمة مع دعاة التغريب حول الاعتراف بالإسلام، ولكن ستكون حول تأويلهم لنصوص الإسلام، فهم امتلكوا رصيداً كبيراً من التأويلات خلال القرن الماضي، شملت معظم أحكام الإسلام في مجال العقيدة والمرأة والحدود والميراث إلخ...، كما امتلكوا قائمة كبيرة من المؤولين خلال القرن الماضي، من أبرزهم: محمد شحرور، محمد سعيد العشماوي، محمد أركون، حسين أحمد أمين، نصر حامد أبوزيد إلخ...، فمن التأويلات التي زعمها المؤولون السابقون بأن الإسلام لم ينصف المرأة في مجال الميراث، وتعدد الزوجات إلخ... لذلك يجب تغيير هذه التشريعات فنجعل نصيب المرأة مساوياً لنصيب الرجل في الميراث، ونعاقب بالحبس من يتزوج بأكثر من واحدة، ومن التأويلات التي دعوا إليها في مجال العقيدة بأن نفهم النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة على ضوء ثقافة العصر، وسيفتح هذا الفهم باباً لشرور عظيمة في مجال العقيدة لا مجال للتفصيل فيه الآن. ومن الأمور التي دعوا إليها عدم إعمال أحكام الحدود لأن فيها قسوة ووحشية وكانت انعكاساً للبيئة الجاهلية، وزعموا بأنه ليس هناك نظام سياسي في الإسلام لذلك يمكن أن نقبل بأي نظام سياسي من الأنظمة المعاصرة

إلخ... لذلك سيكون على العلماء والفقهاء الحرص على توضيح أحكام الشريعة في كل مجال، والوقوف عندها بشكل دقيق، من أجل إنجاء الأمة من فتنة التأويلات والمؤولين، لأن المهم عند هؤلاء المؤولين زحزحة الأمة عن بعض أحكام الإسلام في البداية من أجل استكمال إزاحة الإسلام بشكل كامل في مرحلة ثانية.

هذه بعض الوسائل التي تقوي موقف الأمة في مواجهة أعداء التغريب، فهل ستنتهي معركة التغريب في القرن الحادي والعشرين كما انتهت معركة التغريب في القرن العشرين بانتصار أمتنا الإسلامية؟ هذا ما نتطلّع إليه ونأمله، ونرجوه من الله تعالى.

هذه ملامح الصورة على الجانب الإسلامي والعربي: احتلال لأفغانستان في عام 2001م، ثم احتلال للعراق في عام 2003م، وتوجّه إلى تغريب المنطقة من خلال مشاريع مختلفة أبرزها "مشروع الشرق الأوسط الكبير"، وهي صورة قاتمة تهدّد العراق كبداية لتقسيم المنطقة، فما ملامح الصورة على الجانب الفلسطيني؟

الفصل الثالث

اسرائيل الكبرى

وقّع ياسر عرفات اتفاقات أوسلو مع اسحاق رابين في البيت الأبيض بتاريخ 1993/9/13م، وتقضي الاتفاقات إقامة سلطة فلسطينية ذات صلاحيّات محدودة، وأجّلت القضايا الأساسية من مثل القدس وعودة اللاجئين، والحدود والمياه إلخ... إلى مراحل متأخّرة، ودخل ياسر عرفات وأركان سلطته غزّة في عام 1994م، ثم وقعت اصطدامات بين السلطة والفصائل الإسلامية، واعتقلت السلطة بعض القيادات الإسلامية، وضيّقت عليها، وطاردتها، ولكن الفصائل الإسلامية الفلسطينية، لم تردّ عليها، ثم انسحبت اسرائيل من جنوب لبنان مايو/أيار عام 2000م، ثم دعا كلينتون الوفدين الفلسطيني والاسرائيلي إلى محادثات الوضع النهائي في يوليو/تموز عام 2000م، لكن المفاوضات فشلت، ثم قامت الانتفاضة الثانية في 28 ايلول (سبتمبر) عام 2000م استنكاراً لزيارة شارون المسجد الأقصى، والحقيقة إن عرفات كان وراءها تغطية لفشله في الحصول على أي شيء من قبل اسرائيل بعد أن قدّم كل شيء لاسرائيل، وفي عام 2001م جاءت إدارة جمهورية إلى أمريكا،

وكذلك سقط باراك وجاء شارون إلى الحكم، واستهدف شارون السلطة الفلسطينية، فحاصر عرفات في رام الله منذ ربيع عام 2002م، وكان يرى أن اتفاقات أوسلو خطأ تاريخي، لذلك كان هدفه إلغاء النتائج التي ترتّبت عليها، وبالفعل استطاع أن يدمّر السلطة وأن يبني مزيداً من المستوطنات، ثم ابتدع بناء الجدار الأمني الذي يعتبر بمثابة النكبة الثانية لقضية فلسطين لأنه يبتلع أرضاً جديدة، ويلغى قرى، ويشرّد آلاف الأسر، ويسرق المياه الجوفية إلخ...، ثم طرح خطة الانسحاب الأحادي الجانب من غزة في ربيع عام 2004م، وأثمرت هذه الخطة مشاركة أمنية لمصر في إدارة القطاع، كما ستفرز هذه الخطة وجوداً أمنياً للأردن في الصفة الغربية، ثم توفّي ياسر عرفات في 2004/11/11م، وجرت انتخابات في 2005/1/9م، بين عدّة مرشحين لانتخاب رئيس للسلطة، وانتهت هذه الانتخابات بفوز محمود عبّاس المرشح عن فتح، والواضح أنه انفتحت القنوات له مع اسرائيل وأمريكا اللتين أوقفتا أيّة اتصالات مع سلفه عرفات، المهمّ أنّ هناك اجتهاداً من مصر والأردن لتحريك عمليّة السلام بين اسرائيل والفلسطينيّين، والأرجح أنّ ذلك سيؤدّي في أحسن الأحوال

-إذا كتب لتلك العمليّة أن تنجح- إلى دولة لا تملك مقوّمات الدولة، بل تريح اسرائيل من عناء تصريف أمور الفلسطينيّين الإدارية واليومية.

وخلاصة الأمر أنّ اسرائيل عاشت خلال نصف القرن الماضي بين تجاذبين الأول: يقوم على بناء اسرائيل العظمى ويقوده اسحاق رابين وشمعون بيريز ويستهدف إقامة دولة محورية في الشرق الأوسط تمتلك القدرة العسكرية، والاقتصاد القوي، والإمكانيّات التكنولوجية الفائقة، وتكون الدولة الأكثر فاعلية في الشرق الأوسط لتقوده من خلال "مشروع الشرق الأوسط الجديد" الذي طرحه شمعون بيريز بعد اتفاقات أوسلو.

الثاني: يقوم على بناء اسرائيل الكبرى ويقوده شارون والأحزاب اليمينية، ويقوم على ابتلاع الأرض والتوسّع الجغرافي، ويظهر أنه هو الذي نجح في النهاية في الأوساط الاسرائيلية.

الخاتمة

القضية الفلسطينية: تقويم وآفاق

1- لقد برهنت الانتفاضتان الأولى التي بدأت عام 1987م والتي انتهت في عام 1993م، والثانية التي بدأت في عام 2000م على قدرة الإسلام على تعبئة جماهير الأمّة ودفعها إلى البذل والاستشهاد.

2- لقد فشل التيار القومي العربي في تحقيق أيّ تقدّم للقضية الفلسطينية بعد قيام اسرائيل عام 1948م، مع أنّ دُوَله أقامت انقلاباتها بدعوى تحرير فلسطين، لكنها انهزمت أمام اسرائيل في حرب الأيام الستة، وكسبت اسرائيل أضعاف فلسطين فاحتلّت سيناء من مصر، والجولان من سورية، والضفة الغربية من الأردن، فما السبب في ذلك؟ ليس من شكّ بأنّ السبب في ذلك هو الفكر القومي الذي كانت تستند إليه تلك الدول والذي قام على التنكّر للدين من خلال قوله إنّ الأمّة الموجودة قائمة على عاملي اللغة والتاريخ، ولم يقف الأمر عند التنكّر فحسب بل اتجه إلى معاداة الدين، ومحاولة استئصاله من حياة المسلمين، وخاصة بعد

المزاوجة بين الفكر القومي العربي والفكر الماركسي الاشتراكي في مرحلة الستينات، لكن فشلت تلك المحاولات في استئصال الدين، وقامت الصحوة التي أعادت التيار الإسلامي إلى واجهة الأحداث. وبرز دور التيار الإسلامي في القضية الفلسطينية، فشاركت حركتا حماس والجهاد الإسلامي في الانتفاضتين الأولى والثانية، وكان دورهما بارزاً وحيويّاً ومؤثّراً.

3- لقد فشل النهج الوطني الذي قاده ياسر عرفات والذي قام على اعتبار أنّ قضية فلسطين هي قضية الفلسطينيين فقط، والذي قام على عدم تبنّي أيّ نهج فكري لمعالجة قضايا الأمّة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية والنفسية والعلمية إلخ...، لقد فشل هذا النهج عندما لم يعطه الطرف الاسرائيلي شيئاً من حقوقه التاريخية في كمب ديفيد 2000م بعد أن أعطى ياسر عرفات اسرائيل كل ما تريده في اتفاق أوسلو 1993م من اعتراف بها، وإيقاف للانتفاضة، وتعطيل للعمل الفدائي الجهادي ضدّ اسرائيل، واستكمل شارون إفشاله عندما قضى على السلطة في الضفة، وبنى الجدار الفاصل بين اسرائيل والضفّة الغربية، ووسّع الاستيطان في

الضفّة الغربية، وها هو الآن يفرض حلاً أُحادياً فيعطي السلطة الفلسطينية غزّة ليستفرد بالضفّة الغربية.

4- بعد أن فشل التياران: القومي والوطني في إحداث تقدّم في مجال القضية الفلسطينية، بل على العكس ازدادت اسرائيل تمكّناً، نتوقّع أن يتمكّن التيار الإسلامي من تحقيق تحوّل في مجال القضية الفلسطينية لأنّ هذا التيار يحمل الإسلام الذي يمكن أن يعبّئ جماهير الأمّة ويشحن قلوبهم، ويشحذ عقولهم، ويعالج أمراضهم، ويسدّد خطاهم ، ويرسم مستقبلهم، يمكن أن يحدث كل هذا شريط أن تتجنّب قيادة التيار الإسلامي الأخطاء والثغرات السابقة التي وقع فيها التياران: القومي والوطني، وأن تقوم بخطوات أبرزها: أن تربط قيادة التيار الإسلامي بين الأمّة والقضية الفلسطينية من خلال جماعة واعية، ملتزمة بالإسلام في بنائها وفي مواقفها، وفي سعيها إلى مجاهدة الصهاينة، وفي إقامة الدولة الإسلامية التي ستكمل مسيرة تحرير فلسطين.

5- لقد تحدّث القرآن الكريم في بعض آياته العجيبة عن دخول بني اسرائيل إلى الأقصى مرّتين، واسترداد المسلمين له فقال ﷻ: ﴿**وقَضَيْنا إلى بَني إسرائيلَ في الكتابِ لتُفْسِدُنَّ في الأرضِ مرّتَيْنِ**

ولَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كبيراً . فإذا جاءَ وعدُ أُولاهُما بَعَثْنا عليكم عِباداً لنا أُولي بَأْسٍ شديدٍ فجاسوا خِلالَ الدِّيارِ وكان وعداً مفعولاً . ثُمَّ رَدَدْنا لكم الكَرَّةَ عليهِم وأَمْدَدْناكُم بأموالٍ وبَنينَ وجعلناكم أكثرَ نفيراً . إنْ أَحْسَنْتُم أَحْسَنْتُم لأنْفُسِكم وإنْ أَسَأْتُم فلها فإذا جاءَ وعدُ الآخرةِ ليَسوؤوا وُجوهَكُم ولِيَدْخُلوا المسجدَ كما دخلوهُ أوَّلَ مرّةٍ ولِيُتَبِّروا ما عَلَوْ تَتْبيراً﴾ (الإسراء، مُحَرَّم–رَجَب). والسؤال الآن: متى حدثت هاتان الواقعتان؟ معظم المفسرين أو كلهم على أنّ تلكما الواقعتين حدثتا في الماضي قبل بعثة الرسول ﷺ، ولكن الأرجح أنّ أولى الواقعتين هو ما شاهدناه من دخول اليهود إلى المسجد الأقصى عام رَجَب جُمادَيْن رَمَضان مُحَرَّم، وهذا ما سنوضحه في السطور التالية.

ذكر الطبري في تفسيره عدة روايات عن إفساد بني إسرائيل وعن المسلَّطين عليهم، فقال في رواية أن أول الفسادين: قتل زكريا فبعث الله عليهم ملك النبط ويدعى صحابين، وقال في رواية أخرى: كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين: قتل زكريا ويحيى بن زكريا، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكاً من ملوك فارس من قتل زكريا، وسلط عليهم بختنصّر من قتل يحيى،

وقال في رواية ثالثة: أنّ إفسادهم الأول كان قتل أشعيا نبي الله لأنّ زكريا مات موتاً ولم يقتل، أما إفسادهم الثاني فلا خلاف عليه فقد كان قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام، وقال في رواية رابعة: كان الذي سلّط عليهم في المرة الأولى جالوت وهو من أهل الجزيرة، حتى بعث الله طالوت ومعه داوود فقتله داوود عليه السلام، وقال في رواية خامسة: بعث الله عليهم في المرة الأولى سنحاريب من أهل أثور ونينوى وقيل إنها الموصل. وقد ذكر القرطبي وابن كثير في تفسيريهما عن إفساد بني إسرائيل قريباً مما ذكره الطبري مع تفصيل أقل في الحديث عن الإفسادين وعن المسلّطين عليهم ، لكننا حتى ندرك بُعدْ المفسرين القدماء عن الصواب نقارنه بما ورد في سورة الإسراء فنجد أن القرآن الكريم قد وصف بني إسرائيل بصفتين متلازمتين هما: الإفساد والعلوّ، وهو ما لم يحدث في كل الوقائع التي أشار إليها المفسرون القدماء ، فهم قد تحدثوا عن إفساد ولم يتحدثوا عن علوّ، وهذه أولى المفارقات ، أما المفارقة الثانية فإن القرآن قد وصف الناس الذي سيدخلون المسجد وسيدمرون ما بناه بنو إسرائيل بأنهم "عباد لنا"، والأرجح أنهم عباد مؤمنون خالصون لله وهو ما لم يتحقق في جالوت أو سنحاريب أو بختنصّر

إلخ...، إنّ عدم تطابق المواصفات التي طرحها المفسرون القدماء لدخول بني إسرائيل المسجد الأقصى مع المواصفات التي طرحها القرآن الكريم تجعلنا نرجّح أنّ المرة الأولى تنطبق على احتلالهم الحالي للأقصى الذي وقع في حرب حزيران عام رَجَبٌ جُمَادَانِ رَمَضَانُ مُحَرَّمٌ وذلك لأنّ العلو اليهودي الذي قالت عنه الآية "ولتعلنّ علوّاً كبيراً" فأكدته بالمفعول المطلق "علوّاً" ثم وصفته بالصفة "كبيراً" نجد مصداقيته في العصر الحالي، فدولة بني إسرائيل كلمتها عالية ، وأوامرها مستجابة ، ووُدّها مطلوب ، وجانبها مهاب ، وانتصاراتها متتالية، وقوّتها أكبر من حجمها فهي الدولة النووية السادسة في العالم إلخ... وقد ميّز القرآن العلوّ الثاني بأنّ بني إسرائيل سيصبحون فيه أكثر نفيراً، أي أكثر "عدداً" وهو لم يتحقق في كل مرات الإفساد الثاني التي تحدث عنها المفسرون فهم لم يصبحوا أكثر عدداً من الأقوام التي قاتلوها، وإنما سيتحقق في العلو الثاني الذي سيأتي في قادم الأيام بعد ان يدخل المؤمنون المسجد الأقصى ويستعيدوه من أيدي بني إسرائيل وينهوا إفسادهم الأول المتلازم مع علوّهم والذي وقع في إثر نكسة حزيران .

والسؤال الآن: لماذا تحدث القرآن الكريم عما كتبه على بني إسرائيل في معرض واقعة الإسراء والمعراج وفي سورة الإسراء؟ الحكمة من ذلك تنبيه حاملي ميراث النبوات إلى أهمية أرض النبوات في حياتهم القادمة، لذلك كانت الحروب مع إسرائيل في الحاضر وكانت الحروب الصليبية في الماضي وكان مدار الحربين المسجد الأقصى في الحاضر أو الأرض المقدسة المحيطة بالمسجد الأقصى في الماضي.

خلاصة القول: على الرغم من الأوضاع المأساوية التي تعيشها الأمّة من احتلال للعراق، وتمكين لاسرائيل في الضفة الغربية، فهناك أمل كبير بأن تأخذ قضية فلسطين مجراها الصحيح وذلك بسبب فشل النهجين: القومي والعربي والوطني في تحقيق أيّ شيء للقضية الفلسطينية، وبسبب عودة التيار الإسلامي إلى ساحة العمل الفلسطيني، لكنّ على ذلك التيار أن يربط جهاده بالأمّة من جهة، ويربطه باستهداف الدولة التي يقيمها وتدعمه من أجل استكمال تحرير فلسطين من جهة ثانية.

فـــهـــرس

مقدمة 5

مدخل: فلسطين أرض الأنبياء 13

البـــاب الأول: قضـــية فلســـطين: الصـــليبيون في الماضـــي، والصهاينة في الحاضر 15

الفصل الأول: الحروب الصليبية: قراءة في عوامل الانتصار والهزيمة 17

الفصل الثاني: نقض دعاوي الصهاينة في فلسطين وإثبات دعاوي المسلمين فيها 25

الباب الثاني: نشوء الصهيونية والتحرك نحو فلسطين 35

مدخل: دور اليهود في تكوين الحضارة الغربية 37

الفصل الأول: أضواء على نشوء الحركة الصهيونية 39

الفصل الثاني: المنظمة الصهيونية العالمية ودورها في إنشاء اسرائيل 45

الباب الثالث: سقوط الخلافة وصعود القومية العربية 51

الفصل الأول: سقوط الخلافة العثمانية ونتائج ذلك 53
الفصل الثاني: القضية الفلسطينية وتطوراتها 58
الفصل الثالث: حرب تشرين واتفاقات كمب ديفيد 64

الباب الرابع: الإسلاميون والقضية الفلسطينية 69
الفصل الأول: قيام منظمة التحرير الفلسطينية 71
الفصل الثاني: غياب الإسلاميين عن العمل الفدائي في
الستينات وسبب ذلك 77
الفصل الثالث: دور الإسلاميين في الانتفاضة 83

الباب الخامس: الأمّة بين الامبراطورية الأمريكية واسرائيل
الكبرى 93
الفصل الأول: الامبراطورية الأمريكية: قيادتها، أهدافها، كيفية
مواجهتها 95
الفصل الثاني: مشروع الشرق الأوسط الكبير 103
الفصل الثالث: اسرائيل الكبرى 113
الخاتمة: القضية الفلسطينية : تقويم 117
وآفاق .....

من إصدارات المؤلف

- الفكر الإسلامي المعاصر : دراسة وتقويم 1969م
- النكسة في بعدها الحضاري 1973م
- في مجال العقيدة : نقد وعرض 1986م
- جذور أزمة المسلم المعاصر : الجانب النفسي 1993م
- الجماعة في الإسلام : المشروعية والإطار 1995م
- التغيير في العالم الإسلامي: أزمة موضوعية أم ذاتية؟ 1996م
- أبو الأعلى المودودي فكره ومنهجه في التغيير : دراسة وتقويم 1996م
- الأمة الإسلامية بين القرآن والتاريخ : دراسة وتحليل 1999م
- إشكالية النهضة بين الفكر القومي العربي والصحوة الإسلامية 2003م
- النفس المسلمة: صور من بنائها وأحوالها 2005م